

ملانكة الجبل الأخضر
عبدالله بن محمد الطائي
مطابع الوفاء " بيروت - لبنان "
خاص لموقع الحارة العُمانية
www.alharah.net

الإهداء

إلى الجيل العماني الحاضر الذي يحني رأسه للمأساة ، مأساة الشعب العربي في عُمان ، فيعيش في عزة نفسيته وذل واقعيته سواء كان داخل الوطن أو المهاجر التي آوتنا .
إلى الشباب العُماني الذي جارت عليه المتردية والنطيحة وما أكل السبع ، فقاوم هذا الجور بالكفاح في سبيل العيش والصمود من أجل الكرامة أقدم هذه القصة سجلا للحاضر المظلم ودعوة للمستقبل المشرق ، مستقبل عمان كجزء لا يتجزأ من الوطن العربي الاكبر .

(١)

لحظة قصيرة لو تركتها تذهب مع الاضواء المتنافرة بين حبات النافورة في ميدان التحرير لما أمكن لهذه القصة مشاهد ولا كيان ، فقد تعودت أن أقضي أمسياتي في القاهرة بميدان التحرير وبينما أنا أمشي بين حشائشه الخضراء أتطلع إلى قطرات الماء المتلألئة بالاضواء الملونة اذا بي التفت الى يساري فانظر شابا اتخذ له مكانا في أحد المقاعد ، ويجلبني هذا الشاب الى النظر اليه ، وأمعن النظر ، وأحدق وأصوب ، عجبا لكان

ناداك مجدك فاستجيبى وامشي له فوق اللهب
يا مصر يا انشودة الـ نيا وأغنية الشعوب

ألا ترى يا خالد أن الشعراء يتنبئون ؟ ألم تمش مصر فوق اللهب بعد
سنوات من قصيدة الشاعر ، أليست هي اليوم أغنية الشعوب ؟؟

وسألت فاضل عن أحواله فعلمت أنه استقر في الكويت يعمل موظفا
بالمستشفى الاميري بعد أن قضى حياة قاسية ، فقد سافر من مسقط عندما
ترك وظيفته بالمدرسة السعيدية وحاول أن يستقر في دبي فلم يوفق ثم
عاد الى وطنه العراق ولكنه عانى فيه شظف العيش فوفد إلى الكويت
وبقي بها ثلاث سنوات ينتقل من عمل إلى عمل حتى استقر الآن
بالمستشفى الأميري يسجل المرضى ..

وتبادلنا بعد ذلك اسئلة في جوانب متعددة من حياتنا ومن حياة وطني
عُمان ووطنه العراق ، عن أوطاننا العربية في الخليج ، عن مصر
الجبارة وفي الأخير اقترح فاضل أن نذهب إلى نقابة الصحفيين حيث
يقيم الشعراء حفلة بمناسبة تأميم القناة وقال ((إنها مناسبة رائعة سوف
ترى فيها أكثر شعراء مصر)) ولم أتردد ، بل ذهبنا سوياً وهناك رأينا
الشعراء واستمعنا إلى أقوالهم إزاء عمل جمال ، وعلق فاضل يقول : لا
تستهن يا صديقي بالأقوال ، لقد سمعت كيف تحقق قول محمود اسماعيل.

وفي ١٥ سبتمبر غادرت القاهرة ورفيقي العزيز متجهين الى بيروت ،
بيروت التي كانت أغاني لتأميم القنال ، ثم اتجهنا إلى دمشق وهناك
وجدنا الشعور القومي ينطق مسمعا كل أصم . وفي دمشق أيضا دعينا
لحفلات متعددة من بينها حفلة النادي العربي واشتركنا في نقاش حول
علاقة الزعيم بالشعب ومن منهما يكون الآخر ، وكان على كل شخص
يتكلم ان يذكر اسمه واسم بلده ، وقلت انني من عُمان وإزاء استغراب
الجميع لهذه المصادفة وتكاثر سؤالهم عن عُمان تحولت كلمتي إلى
تعريف لعُمان ثم أبديت رأيي مستشهدا ببسمارك وكافور اللذين وحدا
شعبيهما في ألمانيا وإيطاليا .

((الرفيق قبل الطريق)) لكم لمست حقيقة هذا المثل وأنا أقضي رحلتي
مع فاضل ولكني أوشكت أن أفقد مرافقة فاضل ، لقد صمم على أن
يذهب بالطائرة إلى الكويت وصممت أنا أن أذهب إلى العراق ثم الى
الكويت وعبثاً حاولت أن أقنع فاضل ، وكدت أعتب عليه باعتباره عراقياً
فلا يرافقتني وأنا أزور العراق . وأخيراً قال فاضل ((أخشى يا صديقي
ان ينالني سوء ، فان الحكومة العراقية حكومة نوري السعيد تطارد أختي
منذ أزمة حلف بغداد وقد هربت من الديوانية حيث عينت مدرسة وحيث
عانت الكثير من الرقابة وجاءت إلى الكويت وأنت تعلم أنهم ربما
أخذوني ((بجريمة إيوائها)) . وفهمت كل شيء وقلت : ((الحمد لله
يافضل ، لقد شاء الله ان تعيش مع أختك بعد أن قضيت زهرة شبابك
مشرداً بين نزوى ومسقط ودبي والكويت))
وودعته على موعد أن أزوره بالكويت ، والتقينا بعد عشرة أيام من
افتراقنا .

(٢)

وفي مساء يوم وصولي كنت في بيت فاضل أتناول العشاء ولم يشعرني بالغربة فلقد جلست معنا زوجته وأخته وعلمت من حديثنا على المائدة أن أخته وداد ممرضة في المستشفى الأميري بالكويت وبعد ان تناولنا العشاء عدنا الى الحديث عن وداد فقد كان الحديث ملذا وكانت وداد تقص علينا كيف تخرجت من دار المعلمات وعينت مدرسة بإحدى مدارس البنات في منطقة الأعظمية وكيف عاشت سعيدة مع أمها وأخواتها الصغار تكافح من أجلهم في سبيل القوت حتى دعاها عام ١٩٥٤ إلى الكفاح في سبيل الوطن وعند ذلك حلت الكارثة على هذه العائلة الوداعة المطمئنة فقد خرجت وداد في مظاهرة نسائية تهتف ضد حلف بغداد وما أن عادت ظهراً إلى المنزل حتى كان رجال الشرطة يطرقون الباب ويطلبون أن تصحبهم وداد في سيارة الجيب إلى التوقيف ولم تعارض وداد فقد استسلمت صامتة وتركت الصياح والضجيج لأمها وأخواتها الصغار ، وفي الموقف استقبلها الضابط المسئول يقول :

((يا هلا ... يا هلا بالزعيمة ، يا هلا بجاندارك)) .

- عفوا ، لا أنا زعيمة ولا افرنسية ...

- أنت جاندارك العرب ، أنت زعيمة صوت العرب ، وأخيرا هل

ستعترفين؟

- بماذا أعترف؟؟

- بمعارضتك حلف بغداد وقيادتك الحركة النسائية في الأعظمية
وباعتناقك الشيوعية .

ولم تخف وداد من التهمتين الأوليتين ، قالت إنهما كانتا شرفا لا تعرف
هي عنه شيئا ..

فمعارضة حلف بغداد كانت شعورا لدى كل عراقي وعراقية وقيادة
الحركة النسائية في الأعظمية لا تدعيه فمثلها كثيرات ولكنها صعدت
لتهمة الشيوعية وأنكرت بكل شدة ولكن لا فائدة من المجادلة فقد أمر
الضابط بوضعها في المعتقل لوحدها، وفي الصباح اليوم الثاني أتاها أحد
أفراد الشرطة برسالة من وزارة المعارف تتضمن أمرا إداريا بنقلها إلى
إحدى مدارس الديوانية ولم تستغرب وداد ذلك ، لقد كانت تتربح محاكمة
وسجنا ولكنهم اكتفوا بنقلها .. لقد هانت المصيبة وعليها ان تقبل ذلك
دون اعتراض وعندما عرضوا عليها ان تعود الى بيتها لتأخذ حاجيتها
فضلت أن تمتنع عن ذلك خشية ان تتأثر أمها ، حسب الام والصغار وما
هم فيه من حالة فعلام تعيد اليهم منظر الشرطة وسيارة الجيب؟

وفي الساعة السادسة دوت سفارة القطار وأخرجت وداد من الحجز
بالمحطة وفي الطريق فوجئت بأما تبكي وتهتف ((وداد ، عيني وين
رايحة ، وين تخلينا)) ولم تتمالك دمعها وتعانقت الام والابنة ولكن
القطار يكاد أن يتحرك ففرقهما الشرطي ووجد القطار متنفسا عن النار
المشتعلة بالدخان المتصاعد من مدخنته في حين كان قلبان متوهجان لا
يجدان لحزنهما غير الدمع والاهات .

لم يكن يشغل بال وداد إلا تفكيرها في أمها وأخواتها الثلاثة ، وكيف علمت الام بترحيلها وعندما وصلت الحلة أقترب الشرطي من طيبة النفس وبدا يشعر بتقل الوظيفة التي ساقته إليها الظروف قال لها : ((إن الضابط أرسل أحد الشرطة إلى أمها لإخبارها وأن أحد رفاقه عارضه في ذلك بحجة ان وداد بنفسها لم ترغب في المسير الى الأعظمية خشية إزعاج أمها ثم ما ذنب الام في أن نزعجها بالمجيء على ذلك الحال السيء من الأعظمية إلى الكرخ ؟ ولكن الضابط أجاب : ((إنها التعليمات ، وأصحاب التعليمات يقولون ان هذا العمل كفيل بتنبيه الاباء والامهات بعدم السماح لبناتهم بالاشتراك في المظاهرات)) ..

وصلت الى الديوانية ، ولكنها سلمت الى مركز الشرطة أيضا ، لم يطلق سراحها ، لم تذهب الى مدرستها ، لم تقابل ولا مسؤولا واحدا من المعارف ، ماذا يريدون بالتردد بها من مركز المتصرف الى مركز الشرطة إلى مركز آخر للشرطة وهي تمشى ومن ورائها شرطيان . حاولت وداد أن تجد لذلك تفسيراً معقولا فلم تكتشفه ، وبرمت بذلك بعد ان قضت في التردد خمسة أيام من السجن إلى المتصرف في مركز الشرطة . وفي اليوم السادس بينما كانت تمشي في الشارع وورائها الشرطيان سمعت من يقول ((يلعن بنات ها الزمن)) أنظر ، هاربة من أهلها في بغداد فقبضوا عليها في الديوانية يا للعار .. والتفتت وداد دون وعي لترد على القائل ولكنها فوجئت حين أمعنت النظر إليه فعرفت أنه أحد رجال الشرطة يلبس لباسا مدنيا ، عند ذلك أدركت ماذا يراد بها ، أدركت لماذا لا تحضر إلى المركز في سيارة ، أدركت لماذا تتردد من مركز إلى مركز ، أدركت أن القصد هو تشويه سمعتها فما هو موقفها

مع زميلاتها في المدرسة ، مع تلميذاتها ، مع الجيران الذين ستسكن بقربهم ؟؟ وطلبت وداد مقابلة الضابط المسؤول وسردت له قصتها كاملة من يوم المظاهرة الى كلمة الشرطي - المدني - وطالبت في الأخير بوضع حد لقضيتها ، ليكن السجن ، ليكن أي شيء على أن يكون شيئاً واضحاً معيناً .

وفي اليوم الثاني دعاها الضابط الى غرفته وأخبرها أنها مطلقة السراح وأن وزارة المعارف تقي بأمرها الاداري ولكنها ما تزال معرضة للخطر في أي موقف مخالف يبدر منها وأن عليها أن تنزل في منزل يكفلها صاحبه ...

وتتردد وداد قليلاً ، وحاولت أن تقول أنها لا تعرف أحداً في الديوانية ولكنها عادت ففكرت أنها ستسأل عن المدينة التي تعرف فيها أحداً وقالت في نفسها : ((كفاية سمعتي سوداء في مدينة واحدة ، كفاية والفرج على الله)) .. وقالت للضابط ((انني أولاً لا أعرف أحداً هنا يضمن عني ولا في أي بلد غير بغداد ولكن لي طلباً واحداً هو أن أعيش في القسم الداخلي ولك مني عهد أن لا أخرج إلا إلى المدرسة وعليكم مراقبتي في القسم)) .

واستراحت وداد بهذا من رؤية الذين شاهدوها وهي تذرع الشوارع سمعت عنها آذانهم مختلف الأخبار واستراحت أيضاً من أن تحمل غيرها مسؤوليتها فيما اذا نفذت ما عزمت عليه وهو الالتحاق بأخيها في الكويت .

وانضمت وداد إلى القسم الداخلي ولشد ما كان موقفها محرجا وهي تجلس مع المعلمات على طاولة الطعام ومع المعلمات بالمدرسة ومع الطالبات في الصف ، لقد كانت تفكر أن كل مدرسة وتلميذة تعرف عن الرواية التي نسجها الشرطي، تصورت وجهها مغطى بالعار ، تصورت نظرات المعلمات والطالبات أحجارا ترجمها لتتحمل ثمن الخطيئة وعاشت في هذا الجو القلق أياما ولكنها لم تجد علامة لسوء الظن من المعلمات أو الطالبات بل وجدت منتهى التقدير والرعاية وهان عليها الأمر إلى حد ما ، ولكنها ظلت ممتعة عن الخروج إلى الشارع .

بقيت الرسائل مستمرة بينها وبين أمها وسهل عليها الإنفاق على المنزل في بغداد بمعيشتها في القسم وعندما حلت العطلة الربيعية طلبت أن يسمح لها بالسفر إلى بغداد أو أن يسمح لأمها وأخوتها بالمجيء إلى الديوانية وكرر عليها الضابط : ((أنت مازلت تحت مراقبة الشرطة))

..

وفي الصباح وفقت وداد إلى حل مقبول ، لقد عزمتم أن تذهب إلى البصرة ولم تعارض الشرطة هذا ولم يطالبوها إلا بإثبات وجودها كل جمعة في مركز وربما كان ذلك لموقفها المتروى طيلة العام ، فذهبت وداد إلى البصرة ومن هناك خرجت مع أحد أصدقاء أخيها على أنها زوجته ووصلت إلى الكويت وتخلصت من السجن الكبير .

(٣)

وعندما عدت إلى غرفتي في الفندق كانت وداد تملأ فكري ، فتاة عانت
تعسف الظالمين في بغداد ، فتاة شمרת عن ساعديها لكسب العيش ، لم
تهمل وسائل الاعتماد على النفس سواء كانت في بغداد أو الكويت ، فتاة
حملت المسؤولية العائلية بعد أن هاجر أخوها فقامت بشؤون أخوتها
الصغار وأمها عندما كان أخوها يتحمل شظف العيش في عمان . وبقيت
جالسا على كرسي بالحجرة أفكر في وداد ، حسن استقبالها ، هدوئها ،
رزانتها ، ابتسامتها وأخلاقها ، وسألت نفسي : ((ما الذي يمنعني من
الزواج بها ، البعد ؟ إن أخاها يعرفني في بلادي ... وجودي أنا في
قطر؟ انني مستقر بوظيفتي ، وتحسست قلبي بيدي فاذا به وجيب عجيب
. لقد شعرت أن وداد قد احتلت به مكانا احسست أن هذه الأفكار وأن هذه
الجلسة الطويلة على الكرسي ، ليست إلا من علامات حُبي لوداد وكدت
أن انظر في المرآة لأرقب قول الشاعر :

وللحب آيات تبين بالفتىشحوب وتعرى من يديه الاشاجع

وأخيراً قلت لنفسي : لم تمر عليك الا ليلة واحدة فكيف يأتيك الشحوب ؟
وبقيت أفكر ، ثم تناولت كراسة مذكراتي وبدأت أراجع بعض ما كتبتة
خلال رحلتي ، ووقعت عيني على تعليمات الامير صالح بن عيسى
الحارثي لي ، وقمت فجأة من الكراسي ومشيت في جوانب الغرفة وعدت
إلى الكرسي مرة ثانية وأنا أقول : ((مالك يا خالد؟ إن عليك واجب
يفرض عليك أن تترك وداد الآن ، عليك أن تعيش لوحدك)) وقد كان
ذلك حقا.

لقد تم الاتفاق مع الزعيم على أن أتحرك إلى الوجهة التي يحددها في الوقت الذي يعينه هو . اذن فأنا غير مستقر بوظيفتي ولا في قطر أيضاً ، إذن أنا أمام واجب هام يقف بيني وبين حب وداد . ولكن هل يمنعني هذا الواجب من حب وداد ؟ هل يمنعني من الزواج بها ؟ إن أمرت بالذهاب إلى ساحة القتال فإن وداد ممرضة وبإمكانها أن تشاركنا في جهادنا بعمل لا يقل عن عمل الجندي وربما كان أكثر من ذلك فقد تكون هي الممرضة الوحيدة لدينا . وإن كانت مهمتي في الخارج فمن الممكن أن أعيش بسعادة كاملة .

وكدت أن أصمم على مفاتحة فاضل في الصباح ولكنني لم اقرر رأيا ثابتا وقضيت ليلتي في أفكار حلوة جميلة حتى استسلمت إلى نوم عميق . وفي الصباح تلقيت هاتفا من فاضل يسأل عن صحتي ويؤكد علي تناول الغداء معه فاعتذرت بموعد سابق واتفقنا على العشاء ومرة ثانية جلست على مائدة العشاء مع وداد وفاضل وزوجته ، جلست وايماني يزداد ان وداد قد خلقت لي واني خلقت لها وبقيت صامتا ، رغم ان كل عرق من عروقي يكاد ان ينطق بكلمة ، كلمة خفيفة في لفظها زهيدة في حروفها ، كلمة حب ، وحسبها ان تشغل كيان انسان .

ولكن فاضل تدارك صمتي وربما نسبة للخجل فأخذ يسألني عن خروجي من مسقط واخذ يتابع السؤال حتى التقينا في ميدان التحرير ، وكنت انا اندفع لآخباره بصراحة وتفصيل فقد كان هنالك دافع يدفعني ، كنت أريد

ان تعرف وداد عن كل دقائق حياتي فاذا ما تقدمت لخطبتها كانت لديها فكرة شاملة عني .

انك تذكر يا فاضل كيف عشنا مدرسين بالمدرسة في مسقط ، وتذكر كيف كنت أكمل على راتبي لقطع قيمة بطاقة التموين ، تذكر ان راتبي كان ستا وخمسين روبية وان بطاقة التموين تكلفني ثمانين روبية وذلك للسكر والحنطة والارز ليس غير ، فبماذا أسد باقي مطالب الحياة ، ولكنه لطف الله ، فقد عين السيد عبد الباري الزواوي مدير التموين فكان يعرف حاجات أبناء وطنه من الموظفين خاصة ، وكنت أحد هؤلاء فكان يرسل لي بين حين واخر بطاقة تموين ابيعها في السوق لاحد التجار فافوي بذلك ما تجمع علي من ديون ، ولكن الى متى تمشي الحال على هذا المنوال؟؟

ان هناك منغصات أخرى لا تخفى عليك يا فاضل .. هل تذكر رحلتنا الى ((السيب)) عندما توسطنا الطريق ومررنا على قرية صغيرة حيث وجدنا امرأة تستر جسمها بشبكة صيد السمك ، هل تذكر حديث القروي ان زوجته واخته تتبادلان الخمار اذا ارادتا ان تخرجا خارج البيت ، هل تذكر البستنا المرقعة ، ثم هل تذكر بطاقات التموين التي كانت تسلم لرؤساء القبائل بعشرات الالاف من الروبيات ، فيبيعونها في السوق السوداء على حساب الفقراء مقابل ولائهم لحكومة مسقط . هل تذكر أحوالنا آنذاك؟؟

وما كان فاضل ليجهل ذلك فقد طبعت تلك الفترة بقلبه جروحا ما زال يعاني آلامها كلما خلا نفسه ولكنه كان يعتمد استدرج صديقه لسرد ذكرياته وعاد يقول له : ((احكي علينا خبر استقالتك)) ولم يل عليه خالد اذ أجابه بأنه استقال ولحسن حظه لم يعارضه أحد وعلم مدير الجمارك عن استقالته فارسل اليه يريد توظيفه وعرض عليه راتب يبلغ سبعين روبية فطلب خالد تسعين فرفض المدير المحسن وصمم على الخروج من مسقط بعد أن شغل وظيفته التي اراده مدير الجمارك أحد الباكستانيين براتب بلغ مائة وخمسين روبية ، واستمر خالد يحدث صديقه قائلا : ((ان علي الآن أن أحصل على جواز سفر وتلك مهمة عسيرة لم أوفق فيها لأنني موظف مستقيل فصممت على الذهاب الى دبي ، وهناك علمت أن شركة انكليزية تضم موظفين وعندما قصدت مديرها سألني عن الراتب الذي أريده ، لم اطلب كثيرا فقد كنت في حاجة الى عمل فقلت : (١٢٠ روبية)) ووافق المدير واخبرني ان محل عملي سيكون مترجما بجزيرة مصيره وفي مصيره أيضا لقيت الأذى ، ليس في عملي فقد كان ذلك المصدر الوحيد لراحتي ولكني تألمت لحالة العمال من أبناء وطني ، فلقد منحت الشركة مقاوله تغذية لأحد التجار الهنود فأخذ هذا يتقن في تزويدهم برديء الطعام وعينت طبيبا يهوديا لمعالجة عمالها وموظفيها وعندما شكا العمال سوء الطعام حكم الطبيب بأنه صالح ، صالح رغم الدود الذي يتبخر بين التمر والطحين وكان من ضحايا هذه المعاملة زميلي وصديقي محمد حبيب شنون الذي اشترك في اضراب موظفي الجمرک عام ١٩٤١ ثم هرب اثر الأمر بحبسه وحصل في الاخير على عمل في مصيره حيث لاقى أجله رحمه الله .

وكننت بحكم تردي على مسقط قد تمكنت من اقناع المسؤولين بإعطائي جواز سفر واستقلت من الشركة وسافرت الى قطر وعملت هناك كاتب عند أحد المقاولين .

وعاد فاضل يسأل صديقه عن استقراره بعد هذه السنوات من الكفاح في سبيل العيش وكانت مناسبة لخالد لم يكن ينتظرها قال : ((لقد كنت سعيدا يا صديقي اذ وجدتك تعيش في عش الزوجية ولكم اتمنى ان أوفق إلى زوجة صالحة تشاطرنى حياتي ، ليست هنالك موانع مادية تحول بيني وبين الزواج ولكنها عمان يا أخي نحمل همها بفخر واعتزاز منذ النشأة . فأنا لا اهتم عليك أترقب الأمر من زعمائي لخوض المعركة وأنت تعلم باعتداء سلطان مسقط على دولة الامام وتعلم بضرورة وجود هذه الدولة بعيدة عن نفوذ الاستعمار لما تتمتع به من استقلال وثروة وامكانيات وعلى فرض تأجيل ذلك الآن فان الأوضاع السيئة التي تعيشها بلادنا تفرض علي أن أعيش أعزب لأتحمل ما عليّ من مسؤولية نحو بلادتي)).

وأجاب فاضل: ((هذا يتوقف على الزوجة التي تختارها يا خالد ، قد تكون هذه الزوجة سندا لك في هذه المهمة المقدسة)) .

كانت وداد تصغي الى محاوره الصديقين ولم تكن زوجة فاضل أقل حظا في الاصغاء بل إنها أدخلت على المحاوره جوا من الخفة اذ شاركت زوجها في دفع خالد الى الزواج الامر الذي جعل خالد يفكر في أن هنالك خطة مرسومة لإغرائه لولا أنه يعرف صديقه فاضل ودخوله الى كل موضوع مباشرة دون مراوغة .

وفجأة قال خالد لصديقه : ((انني مقتنع بوجود الزواج ولكن تنفيذ ذلك مقيد بحصولي على امرأة مثقفة تفهم الحياة الزوجية عن وعي وإدراك وتتزوجني على أنها معي في عمان ، وإذا حصلت على مثل هذه المرأة فمن الممكن أن أعالج مشكلة واجبي نحو وطني لأنني سأعيش مع من تفهم هذا الواجب ... وانسحبت وداد من الحجرة متظاهرة بأنها تجهز لهم قهوة في حين أجاب فاضل صديقه بصعوبة الحصول على امرأة كهذه وأخذ يمزح معه ((يابا أنت تذرع السماء ، إن المثققات يردن محيطا عاليا يناسب أزياءهن ومطالعاتهن ، والله أفضل لك المرأة الجاهلة اذا كنت تحب أن تعيش في عُمان)) . وأدرك خالد أن الحديث هذا لم يدبر بل جاء عفوا ولكنه أدرك أشياء من انسحاب وداد.

(٤)

وسافر خالد من الكويت وعاد الى عمله في قطر وكانت حياته هناك توحى له بكثير من الافكار فهو يعيش في حجرة بأمر سعيد يقضي نهاره في العمل ويتنزه عصرا مع اصدقائه فاذا ما جاء الليل اوى إلى حجرته وانهمك في أفكاره ، لقد كانت قضية وطنه تملك عليه تفكيره قبل ان يلقي صديقه فاضل أما الآن فقد شاركها قضية القلب . لقد أحب خالد وداد فهو يفكر فيها ايضا ليلا ونهارا ، انه لمس من وداد مشاركة له في هذه العاطفة نظراتها ، صمتها مظهر الخجل ، انسحابها عندما تكلم عن المرأة المثقفة . ترى هل يكتب لفاضل خاطبا وداد ؟ هل يكتب لوداد مخبرا عن وصوله بسلامة ؟ ليكتب رسالة الى فاضل وزوجته ... وأخرى إلى وداد وكتب :

اختي الكريمة وداد :

تحية العروبة ،

لست أدري كيف أشكرك على حسن رعايتك خلال وجودي بالكويت ولكني لا استغرب ذلك فان أخاك قد أظهر لي من الفضل والاخوة ما يجعلني أحمل له وافر الشكر مدى الدهر فأنا أعتبره قد طوقني بمعروفه اذ جعلني فردا من أفراد البيت وكذلك شعوركم أنتم أيضا .

لقد تأثرت لقصتك وخروجك من وطنك في سبيل مبدأ كريم ، وانا أشاركك في نفس السبب وأرغب اليوم الموعود بالعودة الى الوطن إن شاء الله . .

وضع الرسالة في رسالة فاضل ولكن وداد أجابت في رسالة منفردة وكانت رسالتها مليئة بتقدير خالد وحماسها لقضية عمان ودعائها الى العاملين في حقلها بالنصر .

واستمر المكاتبات بين خالد وداد بريئة نبيلة ، ولكنها قادت الطرفين الى تفاهم بينهما وربطت خالدا برباط وثيق فقرر ان يخطب وداد من أخيها وكتب رسالته وجاءه رد فاضل :

أخي الحبيب خالد ،

تحياتي لقلبك الكبير

لقد استلمت رسالتك الكريمة واشكرك على ثقتك بنا ورغبتك في التقرب من أسرتنا . أنت تعلم يا أخي أنني انظر إليك نظرة الأخ الشقيق فأيام الشدة التي كابدها سوية في مسقط والأخوة التي ربطتني بكثير من أبنائها جعلتني أشعر أنني مهاجر عُماني في الكويت لا عراقي . وصدق

اني أرى زواجك بوداد عضدا قويا لي والرجل الذي أجده كفوا لها ولذلك بادرت بمصارحتها وزدتها بوجهة نظري نحوك وكان لحسن الحظ أنها تحمل نفس الانطباع ولكنك يا خالد تقدر بعدها عن أمها ومسقط رأسها ولذلك فقد كان جوابها يعتمد على أنها لا ترغب في الزواج بالوقت الحاضر وأنها ستنتظر في ذلك عند عودتنا الى العراق ((.

وتلقى خالد الرسالة فقرأها مرارا وصمم أن يعيش مع الأمل وأن يعتبر الزواج من وداد سبيلا من سبل كفاحه .

ومرت أشهر لم تنقطع خلالها المراسلات بين خالد وفاضل وكان يكتب لوداد في بعض المناسبات كتب لها عن العدوان على مصر وكتب لها عن قضية النفط العراقي وما ذاع عن تزويد اسرائيل به وعن التتكيل بالأحرار في العراق ، وهنأها بعيد الفطر وكتب أيضا أنه يتدرب الآن على التمريض لدى صديق له بمستشفى قطر .. لماذا ؟ وعرفت وداد السبب ، ان خالد يهيب نفسه لمعركة عمان وانه ليشعر بدور التمريض في المعركة المنتظرة ... وشكرته وداد على ذلك وكتبت له : جميل يا خالد لقد التقينا اخيرا في شيء واحد ((وأطرق خالد وهو يقرأ هذه العبارة وسأل نفسه ((ترى ألم نلتق في الحب ايضا ؟؟)) .

وفي مايو عام ١٩٥٧ تلقى خالد رسالة من الزعيم صالح بن عيسى الحارثي : ((انني اشكرك على رسائلك وهي تلقي منا دراسة لما تحويه من صراحة وأخبار وملاحظات ، وقد كتب الله لنا النجاح بما رسمناه لك وعليك ان ترهف أذنك وتواصل))..

وطوى خالد الرسالة ولم يخف عليه معناها ، انه يعلم مهمته حق العلم ، ان مهمته هي التكتيل للثورة وتكوين مركز قوى للمجاهدين في قطر شأن غيره من شباب عمان في بلدان الخليج العربي ، فاذا ما دقت ساعة الجهاد هبوا جمعيا الى نزوى مقر التجمع . وبدأ حالا في الاستعداد للإشارة ، فاتصل بانصار الإمامة واجتمعوا ذات ليلة وتبايع مائة وخمسون مهاجرا عمانيا على العودة الى الوطن وتحريره ووضع خالد يده في يد الجماعة وبايعهم ايضا على العودة وتركوا له تعيين اليوم ، وفي يونيه ١٩٥٧ أستلم خالد برقية من أحد أصدقائه هذا نصها : يزوركم طه بعد شهر استقبلوه .

توقيع : أحمد الجابري

وفهم خالد كل شيء ، وبادر بطلب ثلاثين متطوعا من المائة والخمسين حسب التعليمات التي لديه وطلب منهم السفر ولم يتردد هؤلاء فقد استقالوا من أعمالهم ولم تكن تتعدى حراسة المنشآت وكتابة أسماء العمال والعمل بالبناء وخرجوا من قطر للجهاد في ارض الوطن ، خرجوا وكلهم إيمان بعدالة قضيتهم والاخلاص لإمامهم ودعهم الجميع على الميناء وقل من يعرف سبب هذا السفر . وفي الباخرة الثانية سافر ثلاثون آخرون وعن طرق السفن البخارية سافر ستون وأوشكت مهمة خالد أن تنتهي وبدأ يستعد للسفر مع الدفعة الاخيرة ولكن بيانا آخر ورده مشيرا بالتأخير وانتظار التعليمات .

وذاعت أخبار الثورة منذ أن عمت دعوة الامام غالب لاسترجاع نزوى وهب المجاهدون من كل مدينة من عمان الداخلية يتحينون الفرصة لاجراج ولاية سلطان مسقط ثم دخل الامام نزوى وسلمت له المدن الرئيسية وعادت الامامة كما كانت قبل العدوان .

وأدرك السلطان خطورة موقفه ، لقد عز عليه ان يعود الى حدوده عام ١٩٥٥ و ابى التسليم بالواقع الذي أظهره له تأييد الشعب لإمامه والموقف الكريم من للامام بحيث أوقف تقدم الجيش . وبدلا من أن يمد يده الى قرين له من قومه مدها الى عدو له من غير قومه فدخل الانجليز المعركة ، وكانهم أسراب الجراد ، وصمد المجاهدون وقاوموا على أبواب نزوى فاننتصروا في معركة فرق وهزموا امير اللواء (روبرت) وارتفعت الراية البيضاء على قلعة نزوى خافقة متباهية ولكن الانجليز اعدوا تشكيل جيشهم واعتمدوا على الطائرات ، فقصفوا القلعة فلم يؤثر فيها القصف ، ومزقوا العلم الابيض برشاشات الطائرات ففوجئوا بعلم اخر يرتفع فمزقوه ثم فوجئوا بثالث وهكذا دواليك حتى ادركوا ان هذه القطعة البيضاء اغلى من النفوس واقوى من الرشاش واعلى من الطائرات .

واشتد الهجوم على نزوى وقست الطائرات على المدنيين فما كان من الإمام إلا أن استشار رفيقيه سليمان بن حمير وطالب بن علي فرأوا وجوب التحصن في الجبل الاخضر حيث تحميهم الطبيعة وحيث يمكن أن يضمنوا سلامة السكان من عدوان الطائرات .

كانت هذه الأخبار تصل إلى خالد ورغم اشتراكه في الجهاد بالاسهام في تنظيم الحركة في الخارج فانه لم يكن يقتنع الا بخوض المعركة ذاتها في الجبل الاخضر وحاول ان يقنع الامير الحارثي ولكن الامير كان يرى أن مهمة خالد في الخليج دقيقة وقل من يستطيع ان يؤديها ولذلك عدل عن الحاحه إلا أن رسالة من وداد عادت تزلزل تصميمه ...

عزيزي الأخ خالد :

تحية اقتبسها من اشعاع ثورتكم المجيدة وسلام لك من اخي ، لقد أخبرني أخي فاضل عن موقفك أما أنا فأرى أن هنالك نقطة حساسة وهامة لا يقوم بمهمتها احد . لعلك سمعت ان الحكومة البريطانية قد رفضت دخول جمعية الصليب الاحمر الدولي بحجة معارضة سلطان مسقط .

ومعنى هذا يا أخي أن جروحا تنزف دون أن تجد من يضمدها وأرواحا تزهق دون أن تمسح عليها يد حنون ، معنى ذلك ان في بلادك جرحى يئنون على الارض دون علاج وتصور انت مواقع الجروح يا خالد ، تصور الأم الجريح ، تصور النساء والاطفال تنصب عليهم القنابل فلا يجدون حتى صبغة اليود ، مد عينيك الآن إثر غارة جوية ، لتكن أحد غارات الانجليز على بغداد عام ١٩٤١ التي حدثتنا عنها انت بنفسك ، الحال عندكم اكثر من ذلك ، انكم بلدان مكشوفة وبيوت بنيت باللبن وحاجة ملحة الى الفرد . هل تتقبل اقتراحي ؟ توسم الخير في أحد العمانيين بقطر ووله عمك وسافر يا أخي ، سافر ممرضا لا مقاتلا الى الجبل فليس هناك احد من يقوم لهذا العمل . واسمح لي ان اقول لك كلمة واحدة أرجو أن تأخذها مأخذ الجد انني سأسافر معك كمرضة ولن يقف حائل بيني وبين هذه الرغبة)) .

وكما تتوافد أنوار الفجر مخترقة حجابات الظلام كان لهذه الرسالة مفعولها الكبير في تثبيت خالد على جانب محدود من اقناع المسؤولين عن حركة عمان . لقد أنارت له الحجة البالغة في اتخاذ قراره ، سيسافر ، سيذهب إلى عمان ، ولكن كيف تسافر معه وداد ؟ انها تقول انه لن يقف حائل بينها وبين رغبتها هل معنى ذلك انها مستعدة للزواج منه فيما اذا وقف مانع بينها وبين مرافقته ؟ ثم هل ان خالدا مستعد للزواج الان ؟ وكيف يشغل نفسه ببيت وربما بأولاد وهو متجه الى مهمة تستنفذ كل وقته وجهد ؟ وأنها أيضا تضحية من وداد وانها ايضا تضحية من خالد أن يمتنع من تحقيق أمر طالما حلم به وسعى اليه ويوشك ان يكون ملء يديه.

وتناول خالد القلم وكتب رسالتين الأولى للأمير صالح الحارثي يلح عليه فيها بالسفر مبينا وجهة نظره ويرشح صديقه سليمان بن عمران لإدارة الحركة ، أما الثانية فإلى فاضل يخبره فيها عن رأي وداد وعزمه على تنفيذه .

(٥)

كان فاضل شديد التعلق بعمان كبير الشعور نحو قضيتها خبيراً بأحوالها
ولذلك لم تثر رسالة خالد في نفسه أي استغراب وطوى الرسالة في جيبه
متجهاً إلى حجرة أخته فعرض الرسالة عليها وقالت وداد بعد ان اتمت
القراءة :

- أجل يا فاضل ما رأيك أنت في قضية الوطن العربي ؟
- الحق يا وداد اني لو امكنتني ظروفى من الذهاب الى المعركة لما
ترددت ...

- وما رأيك في ذهابى أنا ؟
- من الصعب يا وداد تنفيذ عزمك ، أولاً أنت عراقية فكيف تدخلين
عمان ، وثانياً هل سيقبل المجاهدون تطوعك وأنت امرأة وقد جئت
وحيدة وهم حذرون فوق ما تتصورين .. فكيف تستطيعين اقناعهم
بتضحيتك؟؟

- سأذهب مع خالد وهو ثقة لديهم وسيقوم باقناعهم .
- وكيف تذهبين مع خالد وهو أجنبي عنك ؟
- أو يكون خالد أجنبياً عنك أنت يا أخي ؟
- ان رأيى ورأيك يختلف عما سيقوله الناس .
- وما لنا والناس ؟ هل سأقف انا على ساحة المستشفى هاتفة انى ذاهبة
الى عمان؟؟

ستواجهين الحرب والطبيعة والغربة .. وانت امرأة قد تتعرضين إلى
انتقام دنىء من أعداء لم يتورعوا عن ضرب الأمنيين .
- ولهذا يحلو الجهاد يا فاضل كلما صعبت الطريق ...
- ولكن يا وداد

- ولكن ماذا يا شقيقي ؟ تقصد أهلي ، سأطلعهم على الحقيقة .. تقصد الإنفاق على أخواني وأمي في بغداد ، إني لأعرف مسئولياتك وسوف لن ينقطع المبلغ الذي تعودت ان أرسله إليهم مدة سنتين .
- و داد ، لم أفكر في هذا مطلقا ، أنا أعرف نفسيك ولكني لا استسيغ ذهابك الى بلاد لا تعرفين عنها شيئا ، ستواجهين الحرب والطبيعة والغربة ... وانت امرأة قد تتعرضين الى انتقام دني من اعداء لم يتورعوا عن ضرب الأمنين...
- ولهذا يحلو الجهاد يا فاضل كلما صعب الطريق .
- اني مقتنع بوجود التضحية بالأخص ممن في مهنتك المقدسة .
- ولكني حائر في طريقة ذهابك ؟
- أخي فاضل .. افرض أن عملي الرسمي تطلب مني الذهاب الى عمان .. هل ستعارض ، ثم اليس واجبي الوطني أهم من عملي الرسمي؟؟
- قد أعارض يا و داد في عملك الرسمي ، ولا اعارض في واجبك الوطني ، توكلني على الله ... هيئي نفسك للذهاب ...
- اذا فاكتب إلى خالد أنني موافقة على الزواج منه ، وأن يقوم بإجراء الترتيبات اللازمة لنسافر سوية الى عمان .
- مبروك يا و داد الان سلكت الطريق الافضل ، ان خالدا يتمنى ان تكوني زوجته وانني أنا أيضا أتمنى أن يكون خالد زوجا لك .
- هذه هي اولى بركات الجهاد يا اخي ..
- وكتب فاضل جوابه على رسالة صديقه خالد ، ولم يكن الا وصفا لهذه المحاورة التي دارت بينه وبين أخته وإعلانا عن مباركته للزواج في حين كانت و داد تلتفت الى الوراء لتطرق برأسها الى الحاضر الجديد .

لقد تمثل لها فائق وكأنه يرمقها بنظراته العاتية من خلال قضبان سجن بغداد ، فائق الذي عاهدته على الوفاء له وانتظار الفرصة المناسبة للزواج به . وخيل اليها انه مائل أمامها بقوامه الفارع ووجهه الأسمر يلقي على مسامعها عبارات العتاب . لقد كان فائق أحد جيرانها في الاعظمية تعودت وهي طالبة أن تلاقيه في الطريق متجها الى اعدادية الاعظمية وعندما كانت في مركز الشرطة ببغداد لاح لها فائق يطل من بين قضبان الموقف بالسجن ، فوقفت وقفة مفاجئة وهي ذاهلة لها اللقاء المؤلم العجيب وهتف بها فائق : نعم يا وداد ، اننا شركاء حتى في مركز الشرطة)) ولم يمهلها الشرطي أن تسأل أو تجيب بل أمرها بمواصلة السير وعندما دخلت حجرة السجن تجاسرت وسألت الشرطي عن سبب وجود فائق بالمركز فأجابها أنه أيضا سجين سياسي .

((اننا شركاء حتى في مركز الشرطة)) لقد غدا لهذه الجملة صدى عجيب في نفس وداد . رنين كرنين ساعة التوقيت ، يوقظها كلما حاول البعد أن يحجب عنها ذكرى فائق وهاهي الآن تعود لتسمع رنين هذه الجملة من جديد فتعود بذكرياتها الى أيام مضت ، الأحلام التي تراودهما وهما في دراستهما ، لقد كانت هي في دار المعلمات وكان فائق في كلية الاقتصاد والتجارة وكانت أسعد أيامهما يوم الخميس حين يسمح لها بالذهاب لزيارة أهلها فترى فائق يترصد ساعة اللقاء إما مساء الخميس أو صباح الجمعة وهي ذاهبة الى سوق الاعظمية وانها لتذكر الساعة التي تلاقيا فيها بعد ان عينت مدرسة وتعاهدا على انتظار تخرج فائق آخر العام وعزمه على خطبتها حالما يستقر في عمل فليس هنالك حائل يمنعه من تحقيق أمانيه وأمانيتها ، أبوه موظف قديم بوزارة العدلية يتولى

وظيفة إدارية هامة وانه يتمنى أن يستقر ولده في عش الزوجية وكثيرا ما سمع أمه تثني على وداد ورعايتها لامها وإخوانها بعد أن اضطر فاضل الى الخروج من العراق .. ووقفت وداد طويلا تتذكر الساعة التي علمت فيها عن نجاح فائق وتخرجه من الكلية صيف عام ١٩٥٢ ثم عن فرحتها وفرحته بتوظيفه في معامل النسيج بالكاظمية وبذلك أصبح الأمل السعيد في حكم الحقيقة ، وقرر فائق أن يفتح أباه في عام ١٩٥٥ ولكنهما تلاقيا في مركز شرطة بغداد قبل عام ١٩٥٥ وهدمت حلف بغداد أحلام حب جميل أصيل فقد خرجت وداد كم علمنا في مظاهرة استتكار لحف بغداد وخرج ايضا فائق في مظاهرة كبيرة للشباب أدت إلى به إلى نفس مصير وداد ثم إلى معتقل الفاو .

وانتفضت وداد وهي تذكر معتقل الفاو ، إنه قريب منها فكيف تنقض عهدا لفائق ، كيف تهرب منه الى الجبل الاخضر ؟ لو حدث انقلاب في العراق وأطلق سراح فائق فهل سيتركها ؟ كلا ستكون أول مخلوق يسأل عنه فائق وربما جاء الى الكويت فقد أصبح من الأحرار المنتصرين ولم يبق هنالك مانع من الزواج ، واخذت وداد تفكر ، ولكنها عادت لتذكر أيام المظاهرات والجرحى المتساقطين برصاص الرشاشات ، ثم تصورت نفس المشهد في الجبل الاخضر مع فارق واحد هو أن جرحى الجبل صرعى القنابل لا رشاشات فحسب ، وصممت أن يكون فائق أحد هؤلاء الجرحى واحد من مائة ، من خمسين ، إن عليها أن تعالج ولو عشرة من هؤلاء الخمسين ، وهكذا صممت وداد ان تترك فائق جريح حب لا بد أن يجد كفا حنونا يمتد اليه ليعالج جراحه .

واطمأنت الى هذا الحال وفي نفسها جرح عميق ، حرج كبير فرض على صاحبه ان تضع يدها اليسرى عليه لتعالج بيناها جراح آلاف الضحايا من العمانيين المنكوبين بطائرات ((القوة الجوية الملكية البريطانية)) .

(٦)

ثلاث رسائل أراحت اثنتان منهما بال خالد وشغلته الثالثة ، الاولى رسالة الأمير الحارثي معلنا فيها موافقته على سفره الى ساحة الجهاد في عمان ويعده بوصول معدات طبية تعينه على مهمته وموافقته ايضا على ان يكون صديقه سليمان بن عمران خلفا له راجيا ان يزوده بكل التعليمات .

والثانية من فاضل يهنئه فيها بعزمه على الجهاد ويظهر له موافقته على سفر وداد معه مشاركة في كفاح بلاد يحمل لها أصدق الود والإكبار ويشرح له فيها كل شيء عن تصميم وداد ، وثالثة رسالة وداد التي فهم منها انها مصممة وانها موافقة على خطبتها لها من أخيها .

انهى خالد أعماله كلها من قطر وودع صحبه المخلصين واتجه الى الكويت ليقتنع وداد بالعدول عن السفر ولكنها أظهرت الإصرار وعتبت عليه في الالاح بالعدول وأدرك خالد أن وداد في حالة تصميم وأن رفضه اصطحابها معه سيكون له اثر سيء في نفسيتها ولا يحسن أن يعارض فتاة نذرت نفسها للجهاد في سبيلا بلاده ولكنه وعاد ففكر أن في الزواج منها الان عائقا لكفاحها وكفاحه فهما لن تنهيا لهما الامكانيات التي تجعلهما سعيدين بزواجهما . انهما مقبلان على حياة قاسية قد يخيم عليهما الليل وهم في كهف صغير يكاد أن يهده أزيز الطائرات وقد يبتسم

لهما الصباح في صحراء مزروعة بالالغام بل انهما سيعيشان بين أنات الجرحى وأشلاء الجثث وصبغة اليود واكداس القطن وهدير المدافع فاين حياة الزواج من حياتهما التي يتجهان اليها الان ...؟

ولما كان خالد يعتقد أن هذا الحظ السعيد يبتسم له بعد ان اتخذ قراره الحاسم بالاشتراك الفعلي في الجهاد وتردد بين تضحيتين ، الزواج من وداد والبقاء حيث هو مع الفتاة التي أحبها والذهاب إلى ساحات الحرب مشاركا في اداء واجبه نحو وطنه وعروبته وقد اختار خالد طريقه ولكن هنالك طرفاً ثانياً لا بد له أن يختار أحد الأمرين أيضا بعد أن يقنعه بصعوبة الجمع بينهما وانتهاز خالد فرصه مجيء أحد الجارات إلى منزل فاضل وانشغال زوجته بها فاخذ يوضح الموقف لوداد وترك لها حرية الاختيار بين أحد الأمرين ولم يكن هنالك شك في أنها ستختار مرافقة خالد والجهاد في سبيل القضية العمانية العربية ...

وهكذا استراحت من عذاب الضمير كلما تذكرت جملة فائق بمركز الشرطة وتحقق أملها في أن تكون من ملائكة الرحمة على قمم الجبل الاخضر ولم يعارض فاضل لقد قال لأخته : ((اني يا وداد كبير الثقة بك وحسبي دليلا أن تختاري الجهاد عن طريق مهنتك المقدسة في بلاد قست عليها الطبيعة وجنت عليها يد الانسان)) .

وعاد الصديقان يتشاوران في طريقة سفرهما . وخطرت لخالد فكرة فطلب من أحد أصدقائه العمانيين أن يرافقه في للنزهة واتجها بسيارتهما الى مدينة فحيجيل وهنالك أسر له بالقضية ووجد الحل اذ قال له صديقه إن الموظف الذي كان يكتب الجوازات بمسقط هو موجود هنا فاذا كان

جواز سفرك بخطه فمن السهل جدا ان يضيف اليه اسم وداد على انها زوجتك وتنتهي المشكلة .

وفي المساء كانت سيارة فاضل تسير بالاصدقاء الثلاثة الى مسكن المهاجر الجديد وقد عرفه خالد حالما رآه ، قال له يمد يده لمصافحته :

- لقد كنت انتظر أن تخرج يا خلفان ، كنت أقول أنك لن تتحمل البقاء طويلا .

- هذا مصيرنا نحن الشباب المثقف يا خالد ، ما كنت احسب اني سأترك بلادي أو عملي لقد اخلصت لحكومة مسقط اخلاصا لا تتصوره ولكن يمكنك تصوره اذا فكرت في ثلاثة موظفين يكتبون مالا يقل عن اربعمائة وخمسين جوازا يوميا بكل ما يلزم من تدقيق وبحث .

- لقد كنت أشهد يا صديقي المسافرين يحيطون بدائرتكم ويمتدون في صف كبير ينتظرون جوازاتهم .

- أجل يا خالد كمن يطلب فضلا ، آه ، ما اشد سذاجة اولئك المساكين ، كانوا يقولون يكفي السلطان فضلا أنه يعطينا جوازات نساقر بها فتكون لنا مثل بطاقات العمل .

وأضاف فاضل : سلطانكم هذا لا يعرف مصلحته . إن شعبا مثل هذا يمكن أن يعتمد عليه حاكمه كل الاعتماد. ويمكن ان يحتل به حاكمه مكانة مرموقة بين العرب .. فلا تصل حالته الى ما نشهده اليوم . شعب مشرد يتلمس العيش ويجمع نفسه للكفاح .. وحاكمه ينزوي في غرفته لا يرى إلا جدرانها الأربعة .

طلب صديق خالد الذي رافقه إلى منزل خلفان أن يتكلم في خلوة مع خلفان وبعد جدال طويل ناديا خالدا فتيين له أن خلفان يصر على عدم كتابة اسم وداد في الجواز معتبرا ذلك خطة غير شريفة وأكد له أن لا مسؤولية عليه باعتباره يحمل جواز سفر السلطان وربما لم يلاحظ احد من المسؤولين ان رحل عن طريق البر وجود اسم زوجته .

وحاول خالد أن يقنع خلفان بكل وسيلة ففشل ولكن الجدل امتد بينهما أظهر له أن خلفان يعرف خالدا تماما ويدرك دوره في القضية الوطنية كما أدرك خالد أن خلفان شاب يحمل بين جنبيه أكبر الإخلاص للقضية وبعد يأس مرير القي خالد باخر ما لديه من حجة حول كتابة الاسم قال :
يا خلفان إنني أناشدك بحق القضية الوطنية ان تكتب اسم وداد .

إنني الآن بين حالتين ، حق الوظيفة الوطنية التي ودعتها مختاراً وبين القضية الوطنية ، إنني يا خالد اثق بك وأعلم أنك لا ترمي هذه الكلمات جزافاً وسأرتب لك كل شيء بحيث لا أخرج أحداً . اكتب رسالة باسم مدير الجوازات تطلب فيها ضم اسم زوجتك إلى جوازك وأخر تاريخها وسوف أرسلها إلى مسقط فإن لنا هنالك أخا سيسجل اسم زوجتك في السجل الخاص وتكون المسألة أقوى.

وفكر خالد طويلاً في ذلك . إن من الخير أن لا يكون لوداد سجل لدى ملفات دائرة الجوازات فإذا ما قبض عليها وهي تقوم بجهادها احتجت بجنسيتها العراقية ولن تستطيع حكومة مسقط ان تعمل لها أكثر من أن ترسلها إلى بلادها ومهما كان الحال فهناك أمل كبير في النجاة ، أما لو اعتقلت كعمانية فلا مخرج لها من السجن الرهيب الذي يعتبر قلعة من

قلاع العصور الوسطى . ولذلك أجب أن لا حاجة الى ذلك وأطاع خلفان رأي صديقه وامسك بالقلم وكتب ازاء مصحوب بزوجته : وداد عبد المجيد .

(٧)

ها هما الآن في دبي الزوجان في نظر الناس والصديقان المجاهدان في تاريخ الثورة العمانية . وها هما في المحطة يسألان عن السيارات الذاهبة الى مسقط ووجدا سيارة من نوع ((البك اب)) سيارة تتسع لراكبين في الامام وعشرة في الخلف ولكن كيف يركبان في هذه السيارة كيف يمكن ان يعرض وداد للتراب وتزاحم الرجال ..؟! وسأل خالد السائق اذا كان بالامكان إعطاؤه المقعد الأمامي فوافق على شرط اضافة عشر روبيات الى السعر الاصيلي لك راكب .

واتخذ خالد ووداد مكانهما بالسيارة ، انه موضع مريح بالنسبة الى من جلسوا خلفا وسارت بهما السيارة تعجن الرمال وتشق الطرق الوعرة وتصرع الكثبان أو تقتحم المرتفعات وكانت في كل مرحلى معرضة لكارثة لولا مهارة السائق وتعوده على سلوك الطريق .

وادلهم بهم الظلام في تلك الصحراء الموحشة وتوقفت السيارة لتصلح إحدى عجالاتها عند منتصف الليل ثم استأنفت سيرها ولكنها لم تلاق الشمس إلا على وقفة ثانية لعطل طراً على ماكنتها ولكن السائق مستعد دائماً فعوض الجزء الخرب بأخر ومشى يشق طريقه و قبيل الظهر استراحوا في الحويلات وتناولوا الغداء واستأنفوا سيرهم ، ولكن السيارة

ما تكاد ان تمشي خمسة عشر ميلا الا وتقف وقفة زهاء ساعة أو أقل بقليل خشية أن تشتد الحرارة في ماكنتها وعند ذلك تتعرض لأخطار الوقوف .

وفي ضحى اليوم الثاني لاح لهم معسكر بريطاني أوقفهم وأخذ يسأل الركاب ويتفقدهم، إن الضابط بريطاني ولكن لوجود عرب من مختلف البلدان الجنوبية من شبه جزيرة العرب . والقى الضابط نظرة فاحصة على الركاب ولفت نظره حسن مظهر خالد فأسر الى الجنود بالسؤال عنه فأخبرهم السائق انه من مدينة مسقط وكان يعمل بقطر وانه معروف بمسقط ويحمل جواز سفرها وكان هناك من جانب اخر منظر لمسافر آخر يظهر من هيئته انه من عمان الداخلية كان خالد يعرفه فقد استضافه في منزله بقطر وهو ذاهب من مدينة قريات ديدنه كل عام أن يحج إلى بيت الله الحرام في موسم الحج وان يصيد السمك بمدينته ويقنات منه .

قال له الجندي :

- انت من عمان الداخلية ؟
- انا من مدينة قريات
- هل جئت من السعودية ؟
- جئت من الحج ، أنت تعرفني ، أنا في كل عام أحج إلى بيت الله الحرام ...
- هل عندك خطوط ؟
- لا يا أخي ، إنني أعرف أنكم تفتشون عن الخطوط ولذلك أرفض أن أحمل أي خط .

- أين صندوقك ؟

- هذا هو هل تريد أن تفتشه ؟

- على كلٍ انتظر ، سأتصل بالضابط

ذهب الجندي إلى ضابطه وأوقفت السيارة على مريض من ركابها وسائقها وقال السائق لعبد الله القرموشي - وهذا هو اسم الزاهد - قلت لك لا تتظاهر باللباس العماني ارم العمامة ، واطاف مساعده : وقص اللحية قليل .

وانبر الزاهد يقول : قبحك الله ، اذا كان هنالك بلاء من لحيتي فأنا أتحملة.

ولكن السائق أجابه : ان البلاء سوف يتحملة جميع من في السيارة . وأجابه صوت من بين الركاب كلنا عمانيون يا أخي ونحن مستعدون أن نحمل مصائب بعضنا فكيف بمصيبة رجل شريف فاضل .

وعاد الجندي ومعه أحد العرفاء لتفتيش صندوق الزاهد ، وفتشت محتويات صندوقه قطعه قطعة وحاول الجندي ان يستعمل طريقة الباكستانيين والهنود في تفتيش عرب الخليج على جمرك كراتشي وبومبي ، لقد حاول نزع حديد الصندوق المصق بالغطاء وكان الزاهد ينظر ويحوقل ولم يجدوا شيئاً ذا بال ثم أجال الجنود بنظرهم الى ركاب السيارة وطلبوا من خمسة منهم ان يظهروا الرسائل التي عندهم واخذوا يقرأون العناوين عنوانا عنوانا ويلحون عليهم السؤال من اين جئت ويختلف الجواب او يتفق فتترادف على اسماعهم كلمات : كويت - قطر - خبر - الدمام - البحرين - . كلهم من عمان ولكنهم تفرقوا في هذه

المهاجر العربية التي رحبت بهم عندما ضاق بهم وطنهم ثم اقترب العريف من خالد وسأله أيضا : عندك رسائل ، وأجاب خالد :

- أولا أنت تمثل أي حكومة ؟
- أنا أمثل الحكومة التي أنت منها
- ولو كنت من حضرموت ؟
- أنت حضرمي ؟
- إسأل السائق يا اخي
- سألناه فقال انت عماني
- اذن فهل انت تمثل حكومة مسقط ؟
- نعم ، عندنا حق بتفتيش كل مسافر ..
- انا لا اسألك عن الحق ، فالحق يا اخي مثل الحكمة ضالة المؤمن وكلنه يدعى ولا يلتقط .
- إذن أخبرني هل عندك رسائل ؟
- أولا أنت تعرف أنا عندي جواز سفر من مسقط وهذا هو (وأخرج خالد الجواز) وثانيا نحن مازلنا في حدود الشارقة ، وانت لا حق لك بتفتيش رعايا حكومة مسقط لان لحكومتنا مركزا خاصا وثالثا يؤسفني يا أخي أن الجأ إلى هذا الكلام مع اخ عربي مثلك .
- يا أخي نحن موظفون ، ماذا نعمل ، إن هذه نقطة لجيش الليفي او قوة الكشافة ، لا تخضع للشارقة ولا مسقط ولا دبي ولا ابوظبي .
- يعني انكم قوة كبيرة في حكومات صغيرة
- يمكن ان وافقك على هذا التفسير ، أقصد نحن أصحاب سلطة مطلقة في كل حدود عمان .
- يعني انتم فوق حكام هذه البلدان .

- لا أقدر أن أقول هذا الكلام ، لا تحرجني يا اخي ، انا لو كنت في حضرموت لناقشت مثلما تناقش أنت الآن .

- شكرا لك ، لكن أنا لا أعترف لكم برسالة أو بشخصية إلا بأمر من سلطان مسقط أو مندوب عنه وافعلوا ما تشاءون كفاية عملكم في الزاهد المسكين .

وهدد العريف بإحالة الأمر إلى الضابط وأجابه خالد أنا أحب أن أتكلم مع الضابط اذهب واخبره ،،،،،

ورغم تأخر السيارة من جديد الا ان الركاب تحمسوا لمناقشة الضابط واقتنعوا بوجهة نظر خالد وقال الزاهد : لا يفيدهم غير واحد مثلهم يرطن كما يرطنون ويحلق كما يحلقون ، احسنت يا خالد ، كنت ألومك وأنت تحلق لحيتك في قطر وتلبس لباس الافرنج ولكن صمودك امامهم جعلني افهم انك منهم اثوابا فقط ولكن روح الدين والاصل لم تتغير فيك وجاء الضابط غاضبا يسأل عن هذا الذي استهان بالمركز بامتناعه عن تسليم الرسائل ولكن خالد أظهر الهدوء ، وقال للضابط الانجليزي :

- قبل أن تتصرف يا حضرة الضابط احب ان اسألك سؤالين : هل عندك أمر من الشيخ صقر بن سلطان القاسمي بتفتيشنا ؟

- أنا لا أفكر أن عندنا أمر من الشيخ صقر ، أنت تعرف الشيخ صقر ؟

- لا ، انا لا اعرفه ولكني اعرف انه لن يأمركم بهذا . وهل عندكم امر من السيد سعيد بن تيمور ؟

- ايضا ليس هناك أمر ، ولكن نحن تعودنا ان نفتش كل مسافر .

- بأمر من ؟

- بأمر قائد جيش الكشافة .

- أنا أيضا لا اعتقد ان لقائد الكشافة حق الامر بتفتيشنا .
- جيش الكشافة يشترك في محاربة الامام ، جيش الكشافة دخل نزوى ومع ذلك لا يحق له ان يفتشك انت .
- اسمح لي ان اقول لك كشافة ساحل عمان تحارب جيش الامام بطلب من السلطان ، دخلت نزوى مع قوات السلطان ، وأنا إذا كان عندكم أمر من السلطان بتفتيش المسافرين فليس عندي مانع .
- اذا نحن اوقفناك الآن عن السفر وأعدناك إلى الشارقة ، ماذا تعمل ؟
- المسألة بسيطة سأطلب مقابلة حاكم الشارقة وأخبره أنكم اعتديتم على حقوقه دون أمره . وربما لا يعر عن هذه الاحوال لان هؤلاء المساكين تقبلوا أمر عريفكم بالطاعة ففتش أكثرهم وأهان هذا الزاهد المسكين وكل ذنبه ان له مظهرا دينيا واذا حجزتموني بالمطار ولم اقابل الحاكم فسوف أعود من حيث جئت ..
- ولماذا لا نأخذك الى مسقط ونشتكى منك عند السلطان لانك خالفت الاوامر .
- أنا يا حضرة الضابط أعرف السلطان حق المعرفة ، إنه يقبل أن تتدخلوا في الامور الكبيرة ولكنه يعارض تدخلكم في الامور الصغيرة ، انه يريد ان يظهر أمامنا نحن أهالي مسقط انه ضدكم ولكن اضطر اضطرارا لطلب المساعدات منكم وفوق هذا انا لم اسيء الى السلطان ولم اخالف السلطان . اذا كان عندكم أمر منه فانا مطيع سأفتح لك مخابئ سترتي بنفسى ، وسأفتح صندوقى ايضا .
- انت تقرأ الصحف الناصرية ولهذا تحمست علينا ، انك عائد الى مسقط فمن الافضل ان تفكر قبل ان تتكلم .

- وانت عليك ان تؤدي عملك أولا ، وليس لك في هذه الصحراء الا أن تقوم بعملك ، لست هنا مدرسة فتلقي علينا الدروس . ان مدارس الشارقة هي من حاكمها أو من الكويت ومدرسة دبي كذلك وفي بلادي انا - بلادي الواسعة لا توجد الا مدرسة واحدة صغيرة فكيف يمكن ان يكون لك انت في مخيم صغير مدرسة تلقي منها الدروس على المسافرين ؟

- انا لا اريد ان أتجادل معك .

- هذا هو الاحسن يا حضرة الضابط

- انت ترفض أن نفتشك ؟

- نعم ، الا بأمر من أحد الحاكمين .

- يمكن أعرف اسمك ؟

- اسمي خالد

- والمرأة التي معك من هي ؟؟

- مرة ثانية عدت الى فرض سلطنتك ... هل عندك أمر بالسؤال عن الركاب ؟ والتفت الضابط الى السائق يسأله عن المرأة فأجابه انها زوجة خالد واسمها مكتوب في جوازه ووقف الضابط يفكر ماذا يعمل إن خالد أخرجته إخراجا كبيرا .. حقا انه لا يملك امرا من الحاكمين ولو رفع المسألة الى احدهما ربما يحدث نتائج سيئة فما دام الامر نافذا على اكثر المسافرين بل كلهم فليبق الحال على ما هو وليشرح وجهة الاعتراض على رؤسائه ، ثم هذه الحادثة لم يسبق ان حدث مثل لها ، لا بأس ان يعترض واحد من عشرة آلاف .

وقرر الضابط أن تتبع سيارة خالد سيارة جيب تحمل اثنين من الجنود كي يطلبوا من مأمور الاسود - أول حدود سلطان مسقط - تفتيش خالد .

وعندما وصلت السيارة إلى الأسود وقفت للتفتيش حسب العادة ولتؤخذ الضرائب الجمركية من ركابها ونزل خالد من السيارة تاركاً وداد في مكانها ليسلم على مأمور المركز ، ولشد ما كانت مفاجأة جميلة أن يلاقي صديقان لم يحسبا حسابا لمثل هذا اللقاء وجلس خالد في خيمة المأمور وحوله بعض حرس المركز يسأل كل منهما الآخر عن أحواله ثم أخبره خالد عن قضية المركز البريطاني وأظهر استعداده للتفتيش ، قال المأمور :

- لقد طلب الجنديان الموفدان أن نعطي الضابط تفاصيل عنك وأن نفتشك وكن واثقاً يا خالد أن جوابي سيكون نفس جوابك فأنا أيضا ليس عندي أمر من السلطان أن أنفذ أوامره حول تفتيش الناس وليس هنالك من تعاليم خاصة بالنسبة اليهم فلندعهم وشأنهم .

- ولكن ربما اتخذت القضية دورا آخر فأنت من باب الاحتياط يجب عليك أن تفتش .. ولا تنس أنهم أصحاب الأمر هنا .

اعلم يا خالد ، ان لدينا أمرا بتفتيش من نشك فيهم ، ثم إن الجمرك عندنا ، انت اعرف بواجباته وسوف نحاط للامر وان كنت اعلم انك تفهم أحوال بلادك وليس عندك شيء ...

وانهمك الموظفون في تفتيش الركاب ، ولقي صاحبنا الزاهد نفس ما لقيه من الضابط فتشت رسائله ثم فتش صندوقه وطلب منه ان يدفع ثماني وثلاثين روبية وصرخ يستغيث ، ان كل ما اشتراه من سوق البحرين لا يساوي ثماني وثلاثين روبية وأمر المأمور بتنزيل ذلك الى عشرين روبية دفع خالد منها عشر روبيات ودفع المأمور عشرا وفتش الجميع واخذت منهم الضرائب الجمركية وجاء دور خالد فاخرج كل الاوراق

التي حوتها جيوب سترته ثم فتح صندوقه وصندوق وداد ودفع ما عليه من ضريبة الجمرک وودع صديقه المأمور . وبعد أن وصلت السيارة الى بركاء ودع خالد رفاقه المسافرين ثم أتجه إلى مدينة سمائل في طريقهما الى الجبل الاخضر .

(٨)

إن وراء صعود خالد ووداد الى الجبل الاخضر مشاكل اهمها تقوية الحراسة التي وضعت على طريق الجبل ولكنه اتجه الى وكيل المجاهدين بنزوى وعندما سرد عليه قصة وداد ومهمتها اصر على ان يرسل معها اخته لان مهمة وداد كبيرة ولأنكما الوحيدان يا خالد في هذا النوع من الجهاد وستجدان الامراض هنالك منتشرة ، انهم لا يعانون فقط نتائج قصف الطائرات ، وعلام انقلك الى الجبل ولا ادعك تتأمل في نزوى نفسها أو في أي مدينة عمانية ، هل تجد عندنا طبيبا ، ابق معنا يا اخي اسبوعا لتعرف كم طفلا يموت وكم من امرأة تودع وليدها وداعا هو مزيج من الصبر والحسرة وكم من مرض بسيط اصبح مرضا عضالا بسبب التخبط في الادوية او الاعتماد على الوصفات النباتية . كن انت للرجال يا اخي والتمس لك مساعدا ولتكن وداد للنساء وبذلك نخفف عن المجاهدين آلام التفكير في نساءهم واهليهم ...

واطرق خالد مفكرا ثم تذكر ان عليه ان يعرف تفاصيل اكثر عن شريفة
قال لصديقه :

- هل هي متزوجة ؟؟

- كانت متزوجة يا خالد ، ولكنها الان مطلقة ولطلاقها قصة متعلقة بالجهاد . عندما احتل المستعمرون نزوى وقرر الامام ان يتحصن بالجبل لحق به نسيبي زهران بن سليمان التوبي وخشي ان يلحقه ضمان من الله في حق زوجته فأتي إلي خجلا حائرا وشرح لي الموقف واصر اخيرا على تطلقها ليترك لها الحرية في الزواج من غيره وذهبت واياه الى منزله وحضرت معنا شريفة فعرضنا عليها الفكرة ولكنها اجابت :

- انك يا زهران ، ستخرج عن بيتك ، عن مدينتك ، عن امالك ، عن اسرتك وسوف تخوض المعارك ، سوف تبارز بالسيف وسوف يوجه إليك رشاش الطائرات ، سوف تسمع اصوات الصواريخ التي اعتادت ان تزعجنا كل ظهيرة ، سوف تواجه مختلف الصعوبات فهل تجدني انا ضعيفة الى حد اني لا استطيع ان اصبر على فراقك .

- انك يا شريفة امرأة ، والمرأة ضعيفة ، وانا ايضا لا اريد ان القى الله وفي عنقي امانة لم اؤد واجبها .

- من قال ان المرأة ضعيفة ، لو اعلن الامام يا زهران جهاد المرأة لما ترددت في اللحاق به . ثم لماذا لا اذهب انا معك وليس معي طفل يمنعني سأعيش كما تعيش .

- لا طاقة لك بذلك يا شريفة ، اننا حتى الان لا نعرف مستقرنا ، قد ننام على قمة الجبل وقد نقاتل على فرع شجرة ، قلت لك اني لا اريد ان القى الله وفي عنقي امانة ، لقد اديت كل امانة لدى صاحبها لقد وفيت كل دين . انت طالق يا شريفة .. واسرع وكيل الامام بنزوى يغلق فم زهران لئلا يردف على الطلاق ، وهدأ زهران ثم قال :

- ما بك ايها الشيخ عامر ، هل تظن اني سأطلق بالثلاث ، لا لا ...
قد يمد الله في عمري ومنتصر على الانجليز عاجلا .. ما يدريك .. (لعل الله يحدث بعد ذلك امرا) خذي الصداق يا شريفة وفي امان الله .

كانت شريفة فتاة في العشرين من عمرها فارعة الطول ممتلئة الجسم تندفع حيوية وجمالا فما كادت تتسحب من الحجرة مغطية وجهها الذي اغرقته الدموع حلى استدعاها اخوها قائلا لها : لا تعني الطلاق حتى يذهب زهران الى الجبل وابقى الليلة في البيت وعند الصباح هلمي الى منزلي . وبللت الدموع لحية زهران وقال وهو يحمل على نفسه (هذه هي اول مرحلة من مراحل الجهاد في الجبل الاخضر) وفي منتصف الليل كان يتسلل في الطريق الى الجبل حيث لحق بالمجاهدين .

ومالت نفس خالد الى اصطحاب شريفة معه فهي بلا شك سوف تفيدهم بل انها ستخفف عن وداد ألم الوحدة ومن يدري فرما اقتتعت بأسلوبها الذي اختاراه في الجهاد .. وحينما وجد منه الشيخ عامر الموافقة طلب منه ان يكل اليه امر ايصالها الى الجبل وأن يتكفل هو بنفسه ويستقبلهما بعد أربعة ايام في قرية سيق .

وما كاد الرجلان ينتهيان من حديثهما حتى طرق باب المنزل طارق اسرع الشيخ باستقباله وقدمه الى خالد كأحد المجاهدين الفدائيين واخذ يسأله عن الامام وقائد الثورة طالب بن علي الهنائي وامير الجبل سليمان بن حمير فطمأنه على حال الأولين ولكنه اخبرهم ان الشيخ سليمان مصاب بجرح في رجله لانفجار قنبلة في طريقه

ثم اخذ يسرد اخبار المجاهدين وما يعانونه من مشاكل من استفحال الجروح بأجسامهم دون ان يجدوا من يعالجهم وانتظارهم وصول احد الممرضين حسب التعليمات التي وردتهم من الشيخ صالح الحارثي . وبادر الشيخ عامر بنقل البشري الى المجاهد أن الضيف المائل امامه هو الممرض المرسل وافترت شفتا المجاهد عن ابتسامه ربما كانت تعبيراً عن ابتهاج الجبل بكل من فيه وعانق خالد وهو يقول : انك ستذهب معي ، انا الذي سأنقل البشري ، هل جلبت معك الادوية ؟؟؟

- وهل لديك وثيقة من الشيخ صالح ثبت شخصيتك ؟

- أجل يا أخي ...

- اذن فاستعد للذهاب معي قبيل الفجر ، ولكني لست وحدي ، هنالك ايضا ممرضتان لمساعدتي ، ثم هنالك أكياس مملوءة بالادوية .

والتفت المجاهد الى الشيخ عامر يستوضح منه الخبر ثم قال :

- وهل تتويان صعود الجبل ؟

- نعم .. لقد جاءتا لهذه الغاية ...

قال الشيخ عامر : لا تهتموا بشأن الممرضتين ، سأرتب ذلك إلا أنكم اتركوا خبراً عند حرس مدخل الجبل انهما سيمران بحصونهم صباح يوم الخميس القادم وسوف تحملان كلمة سر هي ((اسعاف)) اما انت فاستعد يا خالد ، وأخير ماذا وراءك يا سيف ...؟

- لقد جئت مع خمسة من المجاهدين ، فقد علمنا ان " الميجر ووتر فليند
وزير دفاع حكومة مسقط " يهددنا بقوله لماذا لا يحضرون الى نزوى ،
ما لهم يتحصنون بالجبال ، وهو الآن بالقلعة وسوف يذهب رجالنا
الخمسة لاقتحام القلعة والوقوف امامه ليقولوا له ((ها نحن قد جئنا الى
بابك يا ميجر فافتح الباب)) .. اما أنا فإن مهمتي أن أعود إلى الجبل
بأخبارهم فربما أصيبوا جميعا بسوء .. واسمحوا لي الان ان اذهب
لمراقبة القلعة وتتبع اخبارها فإن دخل جماعتنا الى القلعة فاعتبرا
ووترفليند في ليلته الاخيرة وان لم يفتح لهم فليس عليكم الا ان تسجلوا
جبنه وجبن حرسه .

وخرج سيف ولكنه لم يسمع عن وقوع معركة واقترب من القلعة ، انه
يسمع طرق الباب ، افتح ، صديق افتح ، ويجيب الحرس من داخل القلعة
: (ممنوع نفتح الان ولو كنت أكبر شخصية ، في الليل تقفل الحصون)
وزاد الطرق وليس هنالك من يجرؤ حتى على مقابلة الطارقين يسألهم
عن طلبهم . وذهب رئيس الحرس الى ووترفليند فصرخ قائلا :

لا تفتح القلعة لأي واحد وما دام الباب مغلقا فنحن في أمان ... الا تعرف
أهالي نزوى أعداؤنا ، حذار أن تفتح ، الزم حصنك .

ويئس المجاهدون الخمسة من طرق الباب ثم قال احدهم وهم ينصرفون :
يا عقيد القلعة ، قل لسيدك (اننا جئنا الى نزوى فلم يخرج لنا) .

وعادوا أسفين ، إنهم من جهة فهموا وزير الدفاع الانكليزي بطلان قوله
ولكنهم لم ينفذوا المطلب الرئيسي . وفي النقطة المتفق عليها التقى بهم

سيف ووعدهم ان يلتقي بهم على الطريق الرئيسي في حين ذهب هو ليصطحب معه خالد الذي كان مستعدا كل الاستعداد وطمأن خالد وداد على لقائهما قريبا ثم سار مع اشعاعات النور وعرفه بالابطال الخمسة كما عرفهم به ثم سار ومعه اكياس يحملها هؤلاء المجاهدون وهويته الشخصية .

وعندما مروا بأول مركز كان على كل منهم أن يستعد لتحقيق الحرس ، انهم عيون ساهرة على اداء واجبهم ، استوقفوا الرجال الستة ، لاحظوا بطاقات الجميع ، ولكنهم توقفوا في بطاقة خالد ، عفوا يا أخانا اننا لا نعرفك ولذلك فلا بد من التأكد من شخصيتك ، هنالك ملاحظات على رسائل الشيخ صالح أولا أن هذه أول رسالة تصلنا من الشيخ مطبوعة على ورق أزرق فما الذي يقصد هو بذلك ؟ ثانيا حروف الآلة الكاتبة التي تعود أن يكتب بها تختلف عن هذه وثالثا أن الرسالة تنص أن معك امرأة فأين هي ؟ ورابعا اسمح لنا ان نسألك بأي جواز دخلت قطر وهل يمكن ان نراه لنتحقق من شخصيتك ؟

ولم يتضايق خالد من هذه الشكوك بل أجاب :

- إنني اقدر فيكم هذه الدقة فنحن في موقف يتطلب منا ذلك ولكن الا تعتقدون ان وجود الفدائيين الخمسة وثقتهم بي وارسال الشيخ عامر لي يفرق هذه الشكوك ؟

- الفدائيون الابطال مسؤولون عن بذل ارواحهم في سبيل القضية المقدسة وذلك هو مكانهم في الحركة ونحن أيضا هذا مجالنا وعلينا ان

نجاهد فيه بكل ما نملك من تدقيق لنألا يتسرب أحد العملاء إلى قلعة
الجبل الأخضر .

- انن فسأجيبكم على كل سؤال اولاً ان رسالة الامير الحارثي فيها
امضاؤه ولا اهمية للون الورق الذي كتب عليه .

- لا يا خالد ، لعله يقصد بذلك امرا . الا تعلم ان الشيخ صالح له غرض
في كل خطوة جديدة يتخذها ؟

على كل لنعد الى قضية الآلة الكاتبة ، لقد كتب هذه الرسالة بدمشق
وبالآلة الكاتبة الموجودة في مكتب امامة عمان بدمشق .

- انه يحمل آله الخاصة اينما يذهب .

- هنالك اختلاف في الحروف والورق ونخشى ان يكون في المسألة
شيء ، بصراحة يمكن الاحتفاظ بالامضاء ومحو الكتابة والطبع عليها
من جديد.

- ولكن عندي رسالة اخرى من مكتب الامامة في دمشق بنفس حروف
هذه الرسالة ...

- ان هذا يؤكد شكنا ، قد تكون اتخذتها لتقوية حجتك ، واسمح لنا يا خالد
فنحن ايضا مسؤولون وبصدد المرأة فقد عرف عنها اخوننا الفدائيون ،
أما الجواز فقد تركته ضمن الودائع التي وعد الشيخ بارسالها الي .

- ان كل شيء يذهب الى الجبل من نزوى لا بد ان يمر على هذا
المركز ، وهنالك دلائل عديدة تجعلنا نتأكد انك محق في قولك وانك جئت
من اجل مهمتك المقدسة مجاهدا ولكن الحزم ان نأخذ بأقل احتمال ،

ولذلك فسوف تبقى معنا حتى يردنا بيان عنك من الشيخ طالب او نشاهد صورتك على جوازك .

- وودع الفدائيون الخمسة خالدا واعضاء الحرس مؤكدين له ان الزعماء يعرفون عنه ان احد سيجيء بأمر السماح له .

وعاد احد الفدائيين بعد يومين ومعه رجل ممن ارسلهم خالد من قطر ورسالة من الشيخ طالب قال فيها ، ((يصلكم رجل ممن يعرفون خالد بقطر وعليه يعتمد في التصديق على شخصية خالد)) .

وفي مساء ذلك اليوم ايضا وصلت الى المركز امرأتين يرافقهما احد الرعاة وببده رسالة من الشيخ عامر بإيصال المرأتين إلى المركز الرئيسي للمجاهدين وهكذا قدر لخالد ان يدخل الجبل الاخضر وبصحبه وداد

(٩)

لقد بدأت مهمتك يا خالد .. تلك هي الجملة التي قالها الامام غالب بن علي الهنائي بعد ان رحب بخالد وأطرى وطنيته ، ولكن الطائرات لم تترك له ان يدخل مع الامام في حديث طويل فقد هب الجميع للجوء الى أحد الكهوف ، واقتربت الطائرات ، سمع دويها وسمعت مدافع الرشاشات ثم هوت قنابلها الى مركز المجاهدين ، كل ذلك وسكان الجبل في كهوفهم التي اتخذوها ملاجئ طبيعية ضد الغارات الجوية ، وفي احد قمم الجبال اختبأ بعض المجاهدين لاصطياد الطائرات المعتدية ولكن الطائرات

الخمسة خزفت ((وهذا تعبير أهالي الجبل الأخضر عندما ترمي الطائرات قنابلها)) .

وأُسفرت الغارة عن جرح أحد الرابضين بقمم الجبال من انفجار قنبلة القتها الطائرات عندما لاحظ أحد ملاحيا إطلاق الرصاص وإصابة طفلين لم يلجأ إلى الكهوف .

كان خالد قد أعد حجرة خاصة للعلاج وملاها بما يحتاج إليها من أدوية كما أعد حجرة أخرى لمعالجة النساء وطلب من وداد معالجة الطفلين في حين ذهب إلى المجاهد الجريح وهناك في مركز دفاعه ضمد جراحه وحمله إلى مستشفى المجاهدين وهناك أيضا وجد الإمام وقد عاد إلى المنزل بعد أن خرج من الكهف حيث استقبله الممرضان اللذان كانا منحة من الله لهؤلاء الأبطال ، قال خالد :

- انه لشرف عظيم يا سيادة الإمام ان تزورنا بمنزلنا .
- الشرف لكم يا خالد ، لقد اختصكم الله بجانب هام من الجهاد انكم السلاح الحقيقي الذي يسخر من غارات الانجليز ، لقد جئت لأشارك في تنظيم منزلكم بحيث يكون مستشفى يلجأ إليه الجرحى ومنكوبو الغارات ، ستكون لكم حجرة خاصة للتضميد وحجرتان لنوم من ترون ابقاءهم في المستشفى من الرجال والنساء ، وحجرة لامراض العيون والاسنان وما إليها وحجرة لنومكم وأخرى لنوم أخت الشيخ عامر ولابد لكم من جندي يحرس المنزل وسنضع على السطح أحد المدافع ليحميكم من الغارات الجوية ، وبينما كان الإمام يتفقد الغرف اذ اختلى به خالد ليوضح له حقيقة وداد ، قال :

- لا يصح لي ان أكتم عنك حقيقة المرأة التي معي ، انها ليست زوجتي ، بل هي فتاة عربية من العراق سمعت عما تعانونه من قصف الطائرات وهول الصواريخ وعن رفض الانجليز السماح لهيئة الصليب الاحمر الدولي من دخول عمان بحجة ان هذا من شاء السلطان وانه لا يسمح بدخولهم وقد اردت ان اصرح بذلك ساعة وصولي ولكني وجدت ان انشغل الان بترتيب مستشفانا الصغير .

- وكيف تعرفت عليها يا خالد ؟

وسرد خالد للإمام كل التفاصيل المتعلقة بوداد وأجاب الإمام :

- أن الإسلام لا يحرم اشتراك المرأة في الجهاد ، لا داعي للكتمان يا خالد فالحمية التي دفعت هذه الفتاة المجاهدة لان تخاطر بدخول الجبل الاخضر وان تتحمل مصاعب العيش فيه تزيد من معنويات مجاهدين ونعطيهم دلالة واضحة على ان هناك عيون ساهرة لما يعانونه هنا من بطش وطغيان .

وذهب الامام يشكر وداد على جهادها وتركها عملها ومنزل أخيها وقال لها :

- أنك موضع الثقة والاحترام من الجميع ، ستكون لك حجرة خاصة في هذا المنزل ولا بأس عليك من مساعدة خالد فقد اذن لك ولي امرك الذي زارني مرة بالرستاق ثم انك مجاهدة كخولة بنت الازور وعاتكة بنت نهشل ورجاء ابو عماشة وكجميل بوخيرد وايضا كمجاهدتنا اللواتي لم يعرف العرب عن اخبارهن .

وبصوت مشتعل بالحماس عبرت وداد للامام عن شكرها وشكر اخيها
فاضل وعن اعجابها بتتبع الامام ل اخبار الكفاح العربي و اضافت :

- وانا سنسأل عن اخبار المرأة العمانية المجاهدة لنعلنه على العالم
العربي .

- ولماذا لا تسألونني أنا ، أنت يا وداد وأخوك أيضا شركاؤنا في جهادنا
وما انا الا واحد منكم أيها المجاهدون ، سأحدثكم يا وداد عن امرأتين :
الأولى أصيلة التي عهد الشيخ سليمان بن حمير الى زوجها مهمة حفظ
قصره المسمى ((بيت السليط)) وهو قصر أثري بنزوى وعندما جاء
الانجليز لنسف القصر رفض الرجل ان يخرج فبدأوا أولا بنهب ما في
القصر ثم جروا الرجل الى سجنهم لما أبداه من مقاومة وبقيت المرأة
مصرة على عدم الخروج وهددوها بنسف المنزل عليها فوقفت عند قولها
ثم انفجر المنزل على المرأة وتهاوى كومة من الحجارة والتراب وتفرقت
أشلاء المرأة عنوانا لفظائع الاستعمار ولسانا صارخا بالدعاء على كل
عميل ماجور .

وترقرقت عينا وداد بالدموع وسادت المجلس رهبة وخشية وقرأ الجميع
الفاتحة على روح أصيلة ... وهذه قصة أصيلة أما ((شمساء)) فلها
قصة أخرى أيها المجاهدون .. قبض على زوجها بتهمة مساعدة
المجاهدين المتسللين وفي الليل اقبل ضابط انجليزي ولم تشعر المرأة الا
وهو بحائط البيت فتقدم منها ولكن شمساء لم تحجم عن مبادرته بضربة
سكين وأرقتها بأخرى خر لها الضابط صريعا وعرفت شمساء ان وراء
قتلها لهذا الضابط مسئولية كبيرة ، فآثرت أن تهرب في جنح الليل ولم

يعرف أحد مصيرها حتى الان . وأكثر الظن أنها ضلت الطريق الى الجبل فماتت جوعا أو عطشا ، اما الضابط فقد اصيب بجرح خطير اذ دخل عليه جنوده المرافقون وعادوا به إلى معسكرهم بحجة أن المرأة قاومتهم وانها تمكنت من الهرب .

وهذه اخت الشيخ عامر قد اجتازت المرحلة الاولى من طريق البطولة ومن يدري لعلها ستصل الى القمة .. اني اودعكما الآن راجيا لكما التوفيق وأرجو أن لا تحجما عن اخباري بما يواجهكما من صعوبة ، وخرج الامام البطل من المستشفى الجديد ، خرج يحدث مرافقيه عن المجاهدين الثلاثة الذين اختاروا طريقهم الخاص ، خرج يؤكد لهم أن أمة يوجد فيها امثالنا وامثالهم لن تهزم وتلا الإمام الآية الكريمة ((من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)) ...

وفي ضحى اليوم التالي سمع خالد طرق على باب المستشفى فخرج يستقبل الجريح الجديد ولكنه فوجئ بجندي يحمل بندقية يصحبه جندي آخر وحواليهما حمار يحمل مدفعا ضخما وأدرك أن أمر الإمام قد نفذ ولكنه وقف محتارا ، لقد تأمل وجه الجندي ، سعد فيه نظرة وصوب ، انه يعرفه واستعاد خالد موقفه في ميدان التحرير ، مرة ثانية يقف في امتحان حول معرفة الاشخاص ، اما الرجل فقد لزم الصمت ، انه ايضا يعيش في حيرة ، فقد قدم خطوة واخر خطوات قبل ان ينفذ أمر القائد الشيخ طالب بن علي الهنائي ، وتذكر خالد ... تذكر أن الجندي ما هو الا زهران التوبي ، مطلق شريفة .

- هذا انت يا زهران ؟
- نعم ايها دختر ، إنه أنا ، لقد عينت حارسا لمستشفاكم يساعدي اخي خلف بن راشد
- مرحبا بك الظاهر انك تدربت على المدافع ...
- نعم يا دختر ، انا الآن أتقن حتى إطلاق مدافع البازوكا ولذلك اختارني القائد لأكون في منزلكم ، لقد ترددت ولكنه قال ((انت غلطان يا زهران)) ان مستشفى خالد هو من أهم مراكزنا فهو مأوى جرحانا من الرجال والنساء والاولاد ولا بد من ذائد ماهر يدافع عنه.

واستاذن خالد رفيقيه ودخل المنزل ليخبر شريفة ويستشيرها وداد في المشكلة . قالت شريفة : ((دعهم الان ينصبون مدافعهم وسنطرح الموضوع للبحث من بعد)) وأوت شريفة إلى الحجرة تفكر في هذه المصادفة وتفكر في ايام زواجها وذكرت اخاها واهلها وبينما كان الرجال مشغولين بنصب المدفع على سطح البناية دخلت وداد الى الغرف تهدي شريفة : ((انت مجاهدة يا شريفة)) اننا في هذا المكان نمسح الدموع فلا يليق بنا ان تسيل دموعنا ، انك هنا ملاك .. عليك ان تتسي جرحك لتضمدي جراح الآخرين)) .

- وأي جرح هذا يا أختي ، كيف استطيع أن أعيش مع مطلقتي ؟
- انت تعرفين انه طلقك حبا في مصلحتك لئلا تبقي مرتبطة به ، ثم اننا لسنا في المنزل ، اننا في ميدان المعركة .

وعندما انتهوا من نصب المدفع عادوا الى المجلس وهناك عرض زهران مشكلته على خالد فأخذ يسرد قصته مع شريفة واصرار القائد طالب على ان يكون هو بهذا المركز ، فأجابه خالد :

- ان القائد يريد ان يكافئك على تضحيتك بزوجتك لقد جمعك الله واياها في منطقة واحدة فعلام يفرق الشيخ طالب بينكما ، إن الثورة أهم أهدافها إصلاح المجتمع العماني يا زهران فلماذا تفرق بينك وبين زوجتك ، لقد امتحنك الله وها انت على وشك أن تتال النتيجة .

- ماذا تعني يا خالد ؟

- اعني انك يجب ان تستعيد زوجتك ، ان هناك رجلا في نزوى يؤدى أعمالا جبارة للقضية العمانية فعلينا ان نهيب له كل الامكانيات لمواجهة العواصف هناك ، يجب ان لا تزعجه بالتفكير في أحوال أخته هنا ..

- ولكني غير مقتنع ، وقد يعرقل ذلك جهادي ، وقطع الحديث عنهما دخول القائد طالب بن علي ورغبته في تفقد البيت وحالة المدفع وبعد فراغه من ذلك أمر برفع علم الهلال الاحمر فوق البناية ففعل ذلك يحميها من قصف الطائرات ، ثم عاد الشيخ طالب الى المجلس وطلب من زهران الخروج ودعا شريفة وعرض عليها فكرة رجوعها الى زوجها قال : ((كان على زهران تضحية كبرى ، نحن نعرف أنه ضحى بأعز أمانيه فليس من السهل ان يهدم الانسان بيته ، وها قد جمعكما الله ولن تفرق الثورة ما جمعه الله لانها قبس من هدى الله)) وعارضت شريفة ..
((لقد نذرت نفسي لوطني ولهذا الثورة ، فمالي وما للزواج ؟))

وأطال الشيخ طالب في نصحتها حتى اقتنعت ثم طلب منها أن تعود إلى داخل المنزل ودعا زهران واخذ يقنعه ، قال زهران : ((انني أيها القائد لم أطلق زوجتي عن ملل او شيء يشينها ، ولكنني أردت أن أتجرد للجهاد)) .

واقتنع أخيرا وعقد القائد بينهما نية الرجوع ، وهكذا عالج مستشفى خالد جرح قلبين .

(١٠)

دوت صفارات الإنذار ... وتهافت جميع سكان الجبل الخضر ((غارة ، غارة ، جاءت تخزق)) وكان الوقت ظهرا ، وكان أكثر الناس قد أوا إلى بيوتهم سوى حرس المراكز العسكرية ولكنهم ما كادوا يسمعون الصوت حتى أسرعوا إلى المخابئ ، وبدأ القصف ، إن القنابل تتساقط بالعشرات ، وبدا المجاهدون يطلقون مدافعهم واشتد القصف ، الهجوم يتركز على مقر القيادة ، ترى هل تمكنوا من اكتشافه ، وبادر الشيخ طالب بالطلب إلى الإمام ورجاله أن يتركوا مقرهم فإنهم الهدف وبدأت الحركة في الطرق ، الامام ، الشيخ سليمان بن حمير ، القائد طالب ، سالم بن عبدالله الحارثي ، يحيى بن عبدالله النبهاني ، عبدالرحيم بن سيف الخروصي ، سليمان بن محمد السالمي ، هؤلاء ورفاقهم الذين يديرون المعركة في هذه النقطة بادروا حالا بتغيير أماكنهم ، ولكن الطائرات أدركت ذلك فنزلت إحداها تطلق الرشاش من قريب ولكن المجاهدين كان يتجهون إلى المنعطفات كلما رأوها تقترب ، ثم سقط جدار على أربعة منهم اختبئوا وراءه فجرح ثلاثة ، وفجأة رأت الطائرة علم مستشفى خالد واتجهت إليه ، حامت فوق المنزل وحام مدفع زهران

حولها والقت أول قنبلة ثم نزلت لترى أثر انفجارها ونزلت وهي تطلق الرشاش ، ثم أطلقت قنبلة أخرى على زهران ولكنه أصاب الطائرة وسقطت ، أجل سقطت ... إن المستشفى في عمان جريمة في عرف الانكليز وخرج خلف يخاطب رفيقه زهران ((لا تمهلهم ، أطلق رشاشك حالما يخرجون من الطائرة ، لا تتخدع بهم ، على انك لا تقتل جريح ، وذلك هو الذي حدث لقد احترق منهم من احترق وخرج الباقون ورشاشاتهم بين أيديهم وبادر زميل زهران باطلاق رشاشه فقتل اربعة وجرح اثنين ثم اقبل خالد من احد المخابئ حاملا على كتفه جريحا ليكشف الخطة المدبرة ، انهم من فرقة ((الكوماندو)) كل منهم مزود برشاش وعدة الحرب الكاملة وأدوات لتسلق الجبال وأمر خلف أن يبقى في مكانه من المدفع وقال لزميله كن مستعد ((حالما ترى ما يشبه المظلة أطلق النار)) وأمر وداد بتضميد الجرحى واتجه توالى مقر القيادة ولم يجد احدا ، اخذ يمشى والقنابل تنصب من حوله وصراخ الاطفال وعويل النساء يكاد أن يصعق أذنيه ، رباه أين ذهب الإمام ، أين القادة ، اخشى ان ينزلوا فلا يعرف بهم أحد ، رباه عونك لأطفالنا ، إن صياحهم يكاد يشق عنان سمائك .

وظفق خالد في طريقه يقول لكل من يراه ((انزال ، لقد حدث الذي حذرنا منه القائد ، احذروا ، اطلقوا النار على كل من ترونه غريبا ، اعلنوا النبا لكل احد)) ووقف القصف ، وانكشف عن ضحايا : جثث تحت الانقاض ، امرأة ميتة على شجرة ، سعدت المسكينة مفكرة أن في ذلك سبيلا للنجاة ، طفل في الثالثة من عمره يطلب أمه ، الجرحى

يزحفون الى مستشفى خالد ، وبعض الأهالي يحملون من يرونهم من الجرحى .

البكاء يعم المدينة ومع ذلك فلم يكن أحد يعجب لهذه الحال ، لقد الفوها ، كل يوم يعانون أمثال ذلك ، كل يوم تزورهم الطائرات السوداء النفثة ، انهم اصبحوا يميزونها ، هذه تكشف وهذه تحمل الزاد لجنودهم وتلك تقصف وبينما كان المجاهدين منشغلين بنقل جرحاهم وانتشال الجثث من بين الأنقاض والاستعداد لدفن موتاهم اذا بالنداء الذي بدأه خالد ثم بالتحذير الذي كرره أمر القيادة مرارا يكونان حقيقة ، لقد بدأ الانزال سحابة من المظلات ثم سحابة من الرجال ، ثم سحابة من دخان البنادق والرشاشات ثم ثم أكوام من الجثث ولكنها جثث كانت أثقل على المجاهدين من القصف الذي يعانونه كل يوم ، إن عليهم إن يواروا جثث هؤلاء ... المعتدين ، انهم ثمانون جثة من جنود المظلات ، ترى أيمن أن يضمهم تراب الجبل الاخضر وقد جاءوا معتدين ؟

وفشل هجوم الانكليز وأقبلت طائرة استكشافية وفي سد منيع من معنويات المجاهدين سدد عليها سعيد بن سليمان القصير مدفعه فأصابها ولكنها استمرت في طيرانها حتى احترقت قرب مطار فرق عند ضواحي نزوى وفي نفس الليلة اذاعت محطة صوت العرب نبأ إبادة ثمانين جنديا من فرق المظلات واسقاط طائرتين ولكن سليمان السيفي - ضابط البرقيات - نسى أن يرسل أسماء الضابط لتذاع من المحطات العربية فحاول الانكليز وعملاؤهم تكذيب النبأ ولكن احتفاءهم بدفن ضابط الطائرة وجنديها في البحرين جاء مؤكدا لبرقية سليمان السيفي .

وفي الليل جلس خالد مع الجنود الاسرى يناقشهم في الوضع بعمان ، وكانت أهم نقطة في موضوعهم هي تبرير عدوانهم قالوا ((انهم يناصرون صديقهم ، وأن الجبل منقطة تابعة له وان الثوار عصاة يريدون أن يفرضوا نفوذا أجنبيا على عمان ، وأن نشوب الثورة قد أثر على مستقبل عمان والا لوجدتم فيها كثير من الاصلاحات ، والمهم الان أن تسكن الثورة لتسير الاصلاحات على ما يرام)) .

وبدأ خالد يرد في هدوء ((انكم جرحى ولكم حقوقكم ، وانكم بشر ولكم مطلق الحرية في التعبير عن آرائكم ، غير أنني اشك في ان هذه آراءكم الشخصية)) وفي هذه الاثناء أقبلت وداد تحقن احدهم بابرة بنسلين وأخذ الضابط ينظر اليها مشدوها تعجبه عندما سمع وداد تتكلم بالانكليزية ((ان الرأي الذي يعترف له بحق هو المنبعث من قلب صاحبه)) وأضاف خالد ((انهم يعتقدون يا وداد اننا عصاة لا شعبا يدافع عن حقوقه وعن الحكم الذي يختاره لبلاده ثم انهم يعتبرون انفسهم أبناء عم لأهالي عمان فالمجاهدون يخضعون لنفوذ اجنبي وحكومة مسقط لا تخضع لنفوذ اجنبي ، إننا نعرف أيها الكابتن ماذا تقصد بالنفوذ الاجنبي ، غير أن الجبل هذا أمامك وستقوم من سريرك و عليك ان تخبرنا اذا وقعت عينك على رجل من رجال جمال عبد الناصر أو سعود بن عبد العزيز أو على سلاح من أسلحة بلدانهم ، انك لن تجد هنا الا عمانيين يتفقون مع اخوانهم العرب في اهدافهم وسلاحنا أخذناه منكم خلال معاركنا وانك لو اجد هنا درسا بليغا هو انك لن تحكموا العرب بالأشخاص ولذلك فسوف تجد فتاة من العراق ، أجل من بلاد نوري السعيد فتاة تركت امها واخوتها وعملها لتضمد جراح المجاهدين ، ما كان ضرركم لو أظهرتم لدولتنا

الصداقة وتعاملتم معنا معاملة الند للند)) وأضافت وداد ((اما اصلاحتكم يا سيدي فدعنا نراها في مسقط لنحلم بها في نزوى وازكى وصور وينقل ومنح ، هل رأيت العمانيين في المهاجر .. ؟

- لقد رأيتهم ، انهم شعب جلود صبور ، انهم يكافحون في سبيل عيشهم بأمانة واخلاص معنا في ال ((أر أي اف)) ، انهم اعداؤنا لكننا نثق بأمانتهم ...

- هل تعتقد ان شعبا كهذا يضرب بالقنابل في سبيل شخص واحد ؟
- انها السياسة يا أختي لا تعرف اعتقادا ولا تفكيرا .. انها أراء مجموعة أشخاص أو شخص واحد ونحن جنود ...
- ولكن سنريك ماذا فعلت قنابلكم ...
- لا حاجة ، دعوني في هذه الحجرة لقد رأيت ذلك في لندن فكيف الحال في هذه الأكواخ ...

وقطع حديثهم مجيء مندوب من القيادة ليستتطق الجرحى البريطانيين وكان من الاسئلة التي وجهت ما هو نوع المدافع التي يجيد اطلاقها ؟ هل يعرف تصليح جهاز البرقيات ؟ من أي مطار خرجت طائراته ؟ كم وزن القنبلة التي كان يحملها ؟ ما هو رأيه الشخصي في حرب عمان ؟ هل يجد بالجبل نفوذا من خارج عمان ؟ هل يعتقد ان بريطانيا أقرب لعمان من البلاد العربية .

وتم علاج البريطانيين الثلاثة ثم نقلوا الى معتقلهم ، وكانوا يخرجون كل صباح لينظروا اثار القصف وليعلموا الجنود استعمال الاسلحة الحديثة

..... وقد اشترط جندي اللاسلكي بالطائرة التي اسقطت أيام الإنزال أن يسمح له بإرسال برقية إلى أهله بعد أن يصلح جهاز البرقيات لدى المجاهدين ، ولم يتردد الشيخ طالب في موافقته على شرط ان يرسل البرقية موظف البرقيات العماني ، وهكذا عاد جهاز البرقيات يرسل أنباء الجهاد بعد ان توقف وكانت أول برقية أرسلت (((ابلغوا وكالة رويتر أن جندي اللاسلكي في طائرة سبت فاير رقم ٣٤ ج المسمى جون ديلى هو في الأسر وبحالة طيبة ... يشاهد كل صباح ذكريات الحرب العالمية ويبلغ سلامه لأهله وخطيبته ايفوري)) ...

(١١)

١٥ ابريل عام ١٩٥٨ له لدى ملائكة الرحمة بالجبل الأخضر ذكرى جميلة حلوة ، انه اليوم الذي يدخل فيه مستشفىهم ضيف أطل على الحياة ، ضيف لم تصبه شظية قنبلة ولا رصاصة بندقية ، انه اليوم الذي ولدت فيه شريفة طفلا جميلا ... واستعرضوا الاسماء ، غالب ، مجاهد وقالت وداد بل نسميه سلام اني لأحس بإحساس غريب وأنا أذكر هذا الاسم وأردف أبوه : وماذا ننشد نحن غير السلام يا أختاه ، بلادنا ستعود الى خضرتها زرعنا لن نرويه بماء مسموم ... حيواناتنا لن تتفرق في الجبال خوفا وهلعا ، بيوتنا لن تتدثر ، أرواحنا لن تزهق ، حياتنا لن تكون ترقبا لطائرة او تحديقا في طائرا نحسبه مظلة ، فليكن اسم الطفل سلام تفاؤلا بسلام ثورتنا وهتف الجميع ((مرحبا بالسلام اذن لعله فال خير بانتصار المجاهدين ، سبحانك يارب خلقت هذا الطفل بين أكوام من الجنث والاطلال ، وغمرت هذا المستشفى بأشراقه وقد

كان لا يستقبل الا جريحا ينزف دمه سبحانك انك قادر ان تشيع
الامن في نفوسنا والبهجة في بلادنا ، سموه اذن سلام .

والتفتت وداد الى صندوقها ، ثم فتحت وأخرجت مجموعة من الصور
واخذت تنظر اليها هذه أمها ، وهذان هما اخوها صالح وعدنان وهذه
اختها خولة ، وأخرجت صورة ثانية ، انها صورة فاضل ((ما أكرم
نفسك يا أخي ... لقد نقلت أمك وأخوتك إلى الكويت بعد ان سافرت انا
الى عمان ، وكم للكويت من فضل في ستر البيوت وبينما كانت في
موكب من الافكار اذ دعاها خالد إلى حجرته وقال لها :

- وداد ، انت تعلمين بالخدمات التي يؤديها نسيب زهران وخال الطفل
سلام للمجاهدين ، وقد استدعاني الامام هذا اليوم وأخبرني أن مجهولا
أطلق عليه الرصاص فأصيب في كتفه ورأسه وهو الآن في حالة خطرة
ولابد من معالجته ...

- وهل أخرجت الرصاصتان من رأسه وكتفه ؟

- أما رصاصة الرأس فقد خرجت ، واما رصاصة الكتف فالتقرير الذي
استلمه الامام يقول انها اخرجت بنفس الطريقة التي كان المجاهدون
يخرجون بها الرصاص قبل وصولنا ، يأخذون حبلا ويضعونه في مكان
الجرح ويمررونه عليه حتى يصل الى الرصاصة ثم يخرجوها ...

- اي انهم حفروا لحمه مسكين

- ذلك ما فعلوا ، والمهم اننا نخشى ان يصيبه تسمم كما اصاب بعض
المجاهدين ، ثم ما شأن جرح الرأس ولذلك فلا بد ان يذهب أحدنا ..

- ولكن كيف تذهب أنت ، أولا مهما كان الحال فليس من المعقول ان
نضحي بالمجاهدين جميعا في سبيل مجاهد واحد ، انك لا تعرف ماذا

سيحدث هنا وفي هذه اللحظة ، ان القصف مستمر والانزال مترقب بين ساعة وأخرى ... والجرحى كل يوم ، ثانيا انت معروف واذا سلمت من الطريق فلن تسلم من نزوى ، انك رجل ومن الصعب ان تتخفى ... اما انا فقد اواجه خطرا في الطريق ولكن بامكاني ان اعيش بمنزله كإحدى حرمة ، فلا يعرف عني احد..

- كلا يا وداد ، مكانك هنا أمين وأنا الذي سأذهب .

- بل أنا الذي سأذهب وقد أخبرتك عن الأسباب ... لقد جئت يا خالد للتضحية ، فلماذا تمنعني عنها ؟

- على كل حال سأذهب إلى الإمام وأخبره واترك الأمر إليه ...

ووجد الامام غالب أن وجهة نظر وداد صحيحة ورغم ان الخطر يكمن في مسير خالد أو مسيرها ولكن نسبته أقل بمسير وداد وهكذا اتجهت إلى نزوى لمعالجة الشيخ عامر .

وبادرت وداد بمعالجة الشيخ ، ضمدت الجرح وحقنته بابر البنسلين ... وأخذ الشيخ يستعيد صحته وكان الاعداء قد سلطوا عليه عيونهم في هيئة عواد أصدقاء ثم سلطوا عيونهم على منزله ليعرفوا من الذي اتاه بالدواء ومن يلف هذا الضماد على رأسه ولم يتورع احدهم من سؤاله فأجابهم ان العلاج لم يتعد المرهم وقد طلبه من - مطرح - وان أخاه هو الذي تكفل بوضع الدواء .. وحمد الشيخ ربه الذي من عليه بالشفاء ... وشكر للسائلين حسن تعهدهم ولكنه في الوقت نفسه خشي على وداد فأمرها بالعودة في حين أصرت هي على البقاء حتى يزول الخطر تماما ...

ومن اوساط النساء نمت البذرة الاولى للاشاعة ((في بيتهم امرأة جميلة حمراء ، لا تجلس معنا ولا يسمع لها صوت ، ان كنتم سمعتم عن بياض نساء بغداد وجمالهن فانظروا اليها)) وتعددت الاشاعات حول هذه المرأة وانتشرت حتى وصلت بطبيعة الحال الى مركز القيادة الاستعمارية في نزوى وبدأ رجالها يقارنون بين شفاء الشيخ السريع وحسن علاجه وبين هذه الاشاعات ...

وفي منتصف ليلة ٢٠ مايو ١٩٥٨ صعق باب منزل الشيخ عامر واهتزت جوانب غرفه وهب أهل البيت مذعورين وأدرك الشيخ كل شيء وفي طريقه إلى فتح الباب أشار إلى أهله بأن تخبئ ودااد في مكان أمين ، وكان الضرب يتواصل على الباب وهو في طريقه ففتحه ، واذا به يفاجأ بضابط انكليزي يصحبه جنود سته منهم انكليز واثنان من المرتزقة بجيش مسقط ((وقال احدهما للشيخ)) بأمر الحكومة قف مكانك و عندنا أمر بتفتيش المنزل ...

- أما الوقوف فانا لا نستطيع عليه سأجلس واسألکم ، لماذا تفتشون المنزل ؟

واتجه الجندي إلى الضابط ليحصل منه على الجواب ...
- نريد أن نعرف من هي المرأة الغريبة في بيتك وقبل أن يجيب الشيخ اتجه الجنود الانكليز وكل منهم يحمل مدفعا رشاش الى غرف المنزل يفتشون ، وفوجئ بهم أخوه وهم يتفرقون في الغرف أمنيين مطمئنين ، رشاش كل واحد منهم ملء يديه ، يمصصون شفاههم كأنهم بحاجة الى ما يرطبها ... ودارت الدنيا في عيني ناصر أخي الشيخ

عامر ، ماذا يعمل ؟ اخوه حاولوا قتله فلم ينجحوا وذلك هو الان بين ايديهم وهذه كرامتهم تهدر ، نساؤهم يدخل عليهن مفاجأة ومن قبل الانكليز اما ((جيش الحاكم العربي)) فقد ترك على الباب لا مجال للستر ، سيذرع هؤلاء المنزل ، سيطأون كل زاوية منه ، واخجلتهم امام الناس غدا ... واندفع ببندقيته وكأنه يقول لها انت التي سوف تصقلين كرامتنا سأموت ولكن لن يقول الناس ان منزل الشيخ عامر وطنه الانكليز بدون إراقة دم ...

وأطلق أول رصاصة وبقي من الجنود خمسة ثم بقي في مكانه وأطلق الثانية فصرع بها جنديا كان يحقق بعينه في النور الذي يشع من انطلاق البندقية وقبل ان يطلق رصاصة على المصدر خر صريعا وبدأ اطلاق الرشاشات بصورة جنونية ولكن ناصر كان في مأمن واختلط رصاص الرشاش بين رصاص بندقية الصمع وجن جنون الجنود الاربعة وضابطهم الذي هتف بجنودهم ... انظروا الى مصدر الطلقة ... حاولوا ان تعرفوا من نار البارود وتمكن الاخير من ضبط المكان فاستشهد ناصر وصرع الجنود الخمسة ولكن الضابط طلب من جنديه ان ينسحب من المنزل خشية ان يعود إطلاق الرصاص ، والتفت الضابط الى الشيخ عامر يلح عليه طلب المرأة والشيخ يبتسم ويقول ((دونكم البيت فتشوه)) ودخل الضابط ثانية الى ساحة البيت وهو كالوحش الهائج فانسل الى إحدى الغرف وهناك القته الى الارض طعنة سكين من زوجة الشيخ عامر تحامل بعدها على نفسه ليلحق بالمرأة التي أوت إلى سطح البيت ... وعندما لم تسعفه جراحه على ذلك ، أمر بالقبض على الشيخ والتفتيش عن زوجته ووداد

وتمكن قسم من الجنود الذين كانوا يحاصرون طريق الحي من قبض وداد بينما كانت وداد تشق طريقها نحو الخروج من نزوى وجاءوا بها الى ضابطهم الذي هتف يقول

- واخيرا لقد صدق الخبر...هذه هي الطبيبة المصرية اه
.....

- انا لا استطيع ان افهم كلامك ، اي جنود واي طبيبة مصرية ...
- ليس عندنا وقت للجدال ، انبثوا ايها الجنود في البيت وفتشوه شبرا شبر واحذروا ان يصيبكم ما أصاب الملازم ببرد

لقد كلفتنا يا دكتورة خمسة جنود ...

- ولم يكن ناصر الان بموضعه الذي اطلق منه النار ، لقد كانت روحه تحلق في السموات العلى ، وأدرك الشيخ عامر ان أخاه لم يعد حيا وان نساءه سيفتشن وان زوجته لا بد من ان تقتل او تقبض فانه لا يستطيع أن يعمل شيئا فهو أسير ومريض ونزف الدم من جرح رأسه وازداد النزيف وحاولت وداد ان تتقدم الى اسعافه ولكنها التفتت الى يديها لتلمح القيد ...
وعندما فاضت روح الشيخ رفعت يديها المغلولتين تترحم له وتدعوا الله ان يرحم الفقيد وينصر الشعب .

اشعل الجنود مصابيحهم واخذوا يفتشون المنزل شبرا شبرا فلم تقع اعينهم على شيء لا رسالة ولا ابرة لم تكن هناك سوى قنينة مليئة بالمرهم

وقطن وضمادات ... وذهب الضابط وجنوده بوداد في حين أصبح الصباح على أهل الحي وهم في المقبرة يدفنون الشيخ عامر وأخاه ناصر ويتحدثون عن نقل الجنود الخمسة لحرق جثثهم في احد جوانب الصحراء ، وعدم تمكنهم من معرفة ملجأ أرملة الشيخ .

وأخذ الضابط يسألون وداد :

- هل عالجت الشيخ عامر ؟؟

وأطرقت وداد لحظة ثم أزمعت على الإنكار فليس هناك ما يثبت الاشاعة فإن دم الجنود الخمسة سوف يدفعهم إلى الانتقام منها لو اعترفت وأجابت :

- أنا لا اعرف الشيخ عامر

- اذن كيف قبض عليك الجنود

- كنت متجهة إلى الجبل الأخضر حيث نذرت نفسي لاعالج ضحايا طائراتكم

- وهل سبق لك أن رأيت الجبل ؟

- نعم فقد نزلت منه قبل خمسة أيام لاشتري أدوية من مسقط

- إن أخبارنا تؤكد معالجتك للشيخ عامر

- قلت لكم أنا لا اعرف الشيخ عامر وها انا أصدقكم الإجابة

- أتعقدين ان فتاة غيرك عالجت الشيخ ؟

- لا اعرف ولكن ما هو الذنب في معالجة الشيخ عامر ؟

- الذنب هو اتصال الشيخ برجال الثورة .

- وماذا يفيدكم ذلك وقد مات الشيخ ؟

- أي أن الفتاة مرسلة من طالب بن علي

- اما اني مرسله من طالب فهذا صحيح واما اني أنا التي عالجت الشيخ فقد قلت لكم اني لا أعرفه ...
- اذن فأنت من ثوار الجبل الأخضر
- أنا أؤدي عملا إنسانيا في الجبل الاخضر ... وقد عالجت جنودكم ...
- جنودنا ... أتعرفين أسمائهم ؟
- أجل اعرفهم واحدا واحدا ، انهم في حالة طيبة ، انهم مطلقو الايدي والارجل ، وانهم رجال ومع ذلك ، لم تغل ايديهم كما تفعلون أنتم الآن بيدي
- يجب أن تذكرني لنا تقريراً مفصلاً عن حالة أسرانا ... وعن أثر القنابل على سكان الجبل وحالتهم المعاشية وكل ما ترينه مفيداً لنا ... إن خبراً واحداً تذكرينه قد يعيد اليك حريتك
- سأختصر لكم ... ان أهل الجبل لم يبق عندهم عقار أو مال يحافظون عليه أو يجبرهم على ان يستسلموا إن قرنكم العشرين أعادهم إلى حياة الكهوف ، ليس هناك بيوت - يا ابناء التايمز ، كلهم في الكهوف واما غير هذه الحال فلا اعرف عنه شيئاً ، لقد كانت مهمتي الدواء ... فأنا بين الجروح والدماء والآلام ليلاً ونهاراً
- واين تعلمت الطب ... ؟
- انا لست طبيبة ، بل ممرضة ... وقد تعلمت ذلك بالكويت .
- هل انت من مسقط ؟
- لا ، أنا من بغداد ..
- كذابة ، انت لست عراقية ، قد تكونين مصرية ، أو سورية ، أنت من جواسيس جمال عبد الناصر ...
- قولوا ما شئتم ، ولكن اذا اطلقتكم يدي أريتكم جوازي ...

- ولماذا لا نفتش نحن هذه الربطة التي تحملينها ؟
وفتشت الربطة ... وكانت تضم مجموعة من الأدوية والإبر وجواز سفر
وداد .. وأثناء التفتيش أضاف الضابط سؤالاً آخر حول وجود سلاح
سالم بالجبل الأخضر وضحكت له وداد وأنكرت الخبر قائلة :
أنتم لا تريدون أن تفهموا أن في عمان شعبا يريد أن يقرر مصيره بنفسه
وبجهوده

وقرر الضابط إرجاع وداد إلى السجن في حين ذهب هو إلى مندوب
سلطان مسقط حيث تمسك المندوب بإرسالها إلى سجن مسقط ، وتمسك
الضابط الانجليزي بالتفكير في أمرها

وكانت السيدة هرست قد وفدت الى نزوى اثر مقتل زوجها الميجر
هرست على يد المجاهدين بينما كان يحلق في طائرة استكشافية على
الجبل الأخضر فأسقطت الطائرة ودفن الميجر بالجبل وما علمت زوجها
عن وفاته حتى قدمت الى نزوى وكتبت رسالة إلى الإمام تطلب فيها
إعادة جثة زوجها اليها ، وما أن علمت بقصة وداد أصرت على ضابط
المنطقة أن يسمح لها بزيارتها في القلعة فلعل لديها خبر عن زوجها .
وفي السجن كانت رجلا وداد مصفدتين بالحديد ، وعندما قدمت السيدة
هرست استقبلتها وداد معتذرة عن عدم مقدرتها في الوقوف ، قالت السيدة
هرست :

- هل كنت بالجبل الاخضر ؟

- أولا ... هل لي ان أعرف من أنت ؟

- لا تخافي يا أختاه ، أنا لست محققة ، أنا امرأة لها قلب ، أنا أرملة
الميجر هرست ، هل تعرفينه ؟

- الميجر الذي مات في الطائرة الاستكشاف ؟
- نعم نه هو ، كيف مات زوجي بالله عليك ؟
- ألم تطلبي من الإمام نصره الله ان يسلم اليك الجثة ؟
- نعم فقد كتبت اليه رسالة ، ولكن كيف مات زوجي ؟
- لقد مات ميته أسهل مما يموت مئات العرب من قنابلكم ، أخرجناه من الطائرة واعتنينا به عناية فائقة ، وبقي في مستشفانا المتواضع يومين كنت خلالهما على رأسه مؤاسية له ... فنحن الممرضات همنا تخفيف الألم ولو كان عن عدو ولم يبق بيتا من آلاف البيوت في الجبل ، ولكنه مات ، وهو يقول : من يبلغ تحيتي إلى ماريا ويقول لها أن تدخل ولدي الى كلية الطب ... وأجبتة : من يدري ربما جمععتي الظروف ، سأخبرها ... وأجاب ... شكرا ، إن ما رأيته هنا مفزع ، مخيف ... أطفال ونساء بلا مأوى وكل هذا من صنعنا ، ومع ذلك فأنتم تعالجوننا ، ما الذي يمنع أن نتفق مع الإمام ونتعامل مع الشعب ، قولوا لها تدخله كلية الطب ... ومات يا أختاه وهذه وصيته ، فهل أنت ماريا ؟
- كفاية يا أخت ... انا ماريا ، لقد مات زوجي إذن مرتين ... موته الرصاص ... وموته الندم سأحفظ لك هذا الحق ماذا تريدين مني ؟...
- لا أريد شيئا ، القيد هذا اعتبره شرفا يا ماريا ، وأنتم الأوروبيون تقدرون المرأة ، ولذلك اكسبتموني هذا الشرف
- هذا كثير .. كيف يصفدون رجلي المرأة ؟
- على كل حال انه شرف .. انهم في عمان لا احد يعرف عن خروجهم على التقاليد ، لا احد يعرف أعمالهم ، ولكن ما أريده منك هو ان أعاد إلى بلادي العراق .

- انت عراقية ، ولماذا جئت الى عمان ؟
- جئت لاضمد الجروح ، لأمسح الدموع ، لأبلغ وصايا الأموات ، وقد
بلغتك وصية زوجك يا مارييا ...
- آه ، ما اشد ألمي ، لقد نسيت ان اسألك عن جثته ...
- دفنت بالجبل وقد أحتفل بالدفن أسراكم الانكليز ، لا قيود هناك يا مارييا
، لا اهانة ، أسرانا الانكليز يعيشون في راحة حتى من قتالكم ..
- اتعتقدين ان لا أمل في استلام الجثة ، انني هنا منذ شهرين التمس أي
عربي يتوسط لدى الامام .

لا فائدة ، إن الإمام عرف بقصة زوجك ... لقد عرف أنه ندم إذ رأى ما
جنته يدها في اولئك الفقراء الذين يدافعون عن أوطانهم ، إن الإمام يقول
خير لزوجك ان يدفن في الجبل من تضمه أرض العدوان ، ان الجثة لن
تسلم اليك .

وعادت مارييا إلى الضابط الكبير تسأله أن يزيل القيد عن رجلي و داد
وتقنعه بإرسالها إلى العراق وكان من رأي الضابط أن يرسلها أيضا ، لقد
قال ساخرا :

- ستلقى هناك اكثر مما ينتظرها في سجن مسقط ومن الخير إرجاعها
عبرة لمن اراد أن يتطوع من عرب العراق ...

(١٢)

ما كادت الطائرة الحربية البريطانية تصل إلى مطار البحرين و تتخذ مكانها بين الطائرات الحربية في الجانب الشمالي حتى تقدم إلى و داد ضابط بريطاني ليخبرها أنه قد هيبء لها مكان في فندق ال (B O A C) بالمنامة و أن عليها ألا تغادر الفندق لأنها أدخلت إلى البحرين بصورة غير شرعية و بذلك يحق للحكومة المحلية أن تعتقلها و قالت و داد:

- على كل حال اشكركم ، أنني الآن معتقلة أيضا و تأكد أنني سأبقى في حجرتي سواء أوصيتني أم لا.

و كانت سيارة إسعاف و سيارات جيب تكاد أنتلاصق الطائرة لتحمل ركابها فوضع الجريحان اللذان اقلتهما بسيارة الإسعاف و ركبت و داد احدى سيارات الجيب يرافقها ذلك الضابط ، و عندما استراحت في حجرتها اخبرها بأنها ستسافر فجر اليوم التالي و تركها لتعيش بين أفكارها و تصوراتها .. و فضلت و داد أن تكون استفادتها من وجودها بهذه الحجرة مجرد كتابة رسالة إلى أخيها و أخرى إلى خالد تخبرهما عن حالتها ... و في رسالة أخيها شرحت له بسالة المجاهدين في معركتهم الوطنية و فظائع الإستعمار البريطاني و دورها في تخفيف آلام المنكوبين حتى وقوعها في أيدي الأعداء ... و أسهبت في وصف معيشة الشعب الباسل هناك و معيشتهم من إمام و قائد و فلاح و مقاتل في ألفة جعلتهم أسرة واحدة و ختمت رسالتها بقولها: "ها أنا يا أخي عدت كما بدأت ، سأعود إلى معتقلات نوري السعيد المظلمة الرهيبة و لكني أعود

راضية مطمئنة لأنني قمت بعمل خيري ما كنت انتظر أن أوفقا إليه ،
يكفي أن جمعية الصليب الأحمر الدولي قد عجزت عن أن تقوم بما قامت
به أختك ، فحسبي يا أخي أنني خفت آلام المنكوبين و ضمدت جراح
المشردين و دفعت غائلة الموت عن آلاف الأرواح بفضل الله و توفيقه
...

على أنني يا فاضل ، أشعر في قرارة نفسي بخيط من النور ينفذ إلى
أغوار المستقبل ، لكأني اشعر أنني سأعود لأولئك الأبطال بأعمالهم
المسكين بمصائبهم ، تحية إلى أمي و شكرا لك على نقلها و أخوي إلى
الكويت ، و من الخير يا أخي أن تكتم عنها خبر اعتقالي ، ثم هذه
الرسالة أرجو إرسالها إلى مكتب غمامة عمان بالدمام ليبلغوها إلى البطل
المجاهد خالد."

و في تلك الليلة التي كانت و داد تكتب فيها هذه الرسائل كان محمد
الحارثي يتحدث عن القضية العمانية في إسبوع ضمن الأحاديث التي
يقدمها مساء كل خميس ، ز كان موضوع حديثه و داد و طريقته إلى
الجهاد ، و كانت و داد شاغلة الشعب العربي في كل مكان تلك الليلة ، و
عندما أقبل خادم الحجرة يخبرها عما سمعه من صوت العرب و من
تصفيق رواد مقهى الأندلس في البحرين لهذه البطولة النادرة ، عندما
كانت و داد تسمع كلام الخادم الذي بدأت نوبته قبيل منتصف الليل لم
تنبس بكلمة و لكن دمعيتين من عينيها عبرتا عن كل شيء و لم تفعل شيئا
سوى أنها علقت على رسالة أخيها: "لقد علمت من أحد الأحرار في
الفندق الذي أنزل فيه أن صوت العرب أذاع عن خبري و أترك أمر

اخبار أُمي عن رسالتي إليك" ... و كيف عرفت أنني و داد ؟ أجايبها السيد العربي كثير من الناس عرفوا أنك في هذا الفندق. فقد رأى بعض من زاروا المطار هذا اليوم امرأة تنزل من طائرة حربية يرافقها ضابط إنكليزي ، و قد حطت الطائرة مع الطائرات المخصصة لقصف عمان و بها جريحان...

و لم تشأ أن تطيل حديثها مع الرجل فربما كان لذلك آثاره و أوت إلى فراشها لتخلو إلى أفكارها و مشاعرها ، و بعد نوم متقطع استيقظت عند الفجر و استعدت للسفر ، و عندما كانت خيوط النور ترسل اشعاعها على جزائر البحرين كان الضابط الإنكليزي يقترب من حجرة و داد ليترك الباب و يطلب منها أن ترافقه إلى المطار ، و في مطار المحرق وجدت و داد جمعا من أهالي البحرين الكرام في توديعها منهم خمس فتيات أحطن بها ليحطن بينها و بين الضابط ، و هناك سمعت و داد كلمات الشكر و التشجيع و عندما حاول الضابط أن يقترب من المجاهدة هتفت به إحدى الفتيات تخاطبه بالإنكليزية: " إبعد من فضلك إننا نعرف غنها و داد بطلة العروبة في الجبل الأخضر ، أين إنسانيتكم التي تفاخرون بها ؟ ابتعد فقد انتهت مهمتك" ...

و غاصت و داد في حلقة من الفتيات و الفتيان و لم يستطع الضابط و لا غيره ان يحولوا بين هؤلاء و بين اسيرتهم و اندفعت تسرد لهم ما سمح به الوقت من أخبار المجاهدين ثم أعلن مكتب المطار ساعة الوداع ، فامتدت الأيدي تصافح المجاهدة و تعالت الهتافات ... بسقوط الاستعمار

... يعيش جمال عبدالناصر ... يعيش طالب بن علي ، النصر للمجاهدين
...

و قالت و داد و هي تودع إخوانها: "شكرا لكم ان ما أتحملة من عذاب
يحلو في نفسي ما دمت أبذل دمي و حياتي في سبيل شعبي العربي
الكريم ... وداعا أيها العرب في البحرين ... يحيى العرب".

و استقلت الطائرة ، إتفتت يمنا و يسرة ، ليس عليها الآن رقيب إنها
حرة في الطائرة ، أن الطائرة ستمر بالكويت ، من يدري ربما سمع
أخوها إذاعة صوت العرب أيضا فجااء إلى المطار على أمل ان تكون في
الطائرة ، و لكن الطيار خيب ظنها ، لقد أعلن أن الطائرة لن تمر
بالكويت ، و أن ركاب الكويت ستنقلهم طائرة ثانية من البصرة. و قال
أحد العرب كم أنت عظيمة يا و داد ن أنهم يخافون من وجودك بمطار
الكويت لأنهم يعلمون ان الكويت كلها بالمطار ... و قال آخر: "و الله لو
حطت الطائرة بالكويت لغادرتها و داد على مرآى و مسمع من ضباط
الطائرة حرة معززة ..."

و حطت الطائرة بالبصرة .. أجل من أسر الإنكليز إلى سجون نوري
السعيد ، و على باب الطائرة كان يقف أحد ضباط الشرطة العراقية ، ثم
تبع الركاب ، و لم يطل ترده فقد أشار ربان طائرة الخطوط الجوية
البريطانية إلى و داد و هتف الضابط: "هل أنت الأنسة و داد عبدالمجيد؟"
و أجابت المجاهدة: "نعم أنا و داد عبدالمجيد .. تفضل نفذ أوامرك" ، و
طلب منها أن تتبعه ، و في مركز الشرطة استقبلها مأمور المركز قائلا
...

- مرحبا عيني رفعت إسم العراق عاليا

- شكرا أيها الأخ لقد أديت واجب كل فتاة عربية

- على كل حال يؤسفنا يا أختاه أن نقبض عليك ، أن الأوامر التي عندنا تنص على أن تقابلي مدير شرط مدير شرطة البصرة و لكن قبل ذلك يمكنك أن تستريحي في منزلي و مع أسرتي ليوم كامل و غدا تذهبين إلى المدير ، خذي التلفون و اتصلي بأهلي ..

و رافقته و داد إلى منزله و قضت ليلة مع زوجته و أولاده ، و في الصباح رافقها إلى مدير الشرطة و أرسلها هذا بدوره إلى معتقل الفاو و هناك قضت و داد أيامها حتى اشرفت ثورة ١٤ تموز ...

أي يوم سعيد ، أي يوم مجيد ، أصبح ١٥ تموز على السجناء ، لا أشغال لا إهانات .. لا غتهامات ، أنهم يهنئون بعضهم بعضا ، أن حرسهم لم يعودوا زبانية سجون ، انهم لطيفون مرحون ... كل السجناء يرددون إسم عبدالسلام ، أي بطل انت يا عبدالسلام ، اقتحمت القصر لا خائفا و لا وجلا ، اقتحمت دار الإذاعة لتعلن بيانات الثورة ، أنت المهاجم و أنت مهدم صرح عبدالإله ، و أنت مروع قصر الرحاب و أنت عبدالسلام ، أنت الذي يهتز لصوتك اليوم نوري السعيد.

و وقفت وداد على أحد أركان ساحة السجن تتأمل .. أي خاطر اوحى لها
أن تسمي طفل شريفة "سلام" ثم من هؤلاء الذين حرروا العراق ؟ أكننا
نعرفهم .. بورك فيك أيها العراق ..

و بدت اللوائح ترد لاطلاق السجناء ، و كانت وداد تنتظر دورها ، و
لكن أخاها فاضل حالما علم بالثورة ارسل أمه و أحد إخوته مع رسالة
للعقيد عبدالسلام عارف وزير الداخلية ... و من مطار بغداد اتجهت ام
وداد إلى منزل عبدالسلام عارف ، و كان لحسن حظها في البيت و لم
تتمالك ان قالت لزوجته:

- قولي له أنا أم وداد .

- أي وداد يا أختاه

- أنت قولي له أنا أم المجاهدة العراقية بالجبل الأخضر و سجينه الفاو
الآن ...

و دعاها عبدالسلام عارف و قال لها:

- اسمعي يا خالة ، في الحقيقة لم أكن اعرف شيئاً عن وداد و لكن هنالك
لجنة تبحث عن المعتقلين و سوف يجيء دور إبنتك ...

- لا ... لا ... يا ولدي ، أنا لا أنتظر الدور ... إنها فتاة مجاهدة و هذا
خط من أخيها ...

و قرأ عبدالسلام رسالة فاضل و فهم كل شيء و علق على الرسالة:
"أرجو أن تبحث لجنة السجناء السياسيين قضية البطلة وداد عبدالمجيد ،
فإذا كان ما ورد بهذه الرسالة ينطبق على ما لدينا من معلومات ن فأرجو
اطلاق سراحها و ارسالها غلى مكنتي لمقابلتها".

و بعد ثلاثة أيام من التعليق كانت وداد في مكتب عبدالسلام عارف
يشكرها على موقفها و يحيي فيها الفتاة العراقية و سلمها أمرا إلى وزارة
المعارف بأن يجري راتبها السابق.

(١٣)

ما أسعد البيوت العراقية .. أن كلا منه يستقبل ابا و ابنا و اخا ، كل
هؤلاء كانوا في المعتقلات ، في كل بيت عراقي بهجة ، حتى تلك البيوت
التي اعتقل منها انصار الحكم البائد اعادت لهم الثورة مهتقليهم الذين
ايدوا حق الشعب و عارضوا مطامع الفرد ، و كانت وداد و هي تشهد
هذه الاستقبالات تفكر في شيئين أولهما ... متى تحتفل العائلات في
عمان بعودة المشردين من ابنائها في المهاجر أو المعتقلات و ثانيهما
متى يطلق سراح فائق. فائق صاحب جرس الساعة الذي طالما ون في
أذنها بهذه الجملة "إننا شركاء حتى في مركز الشرطة" و لكن عهد مركز

الشرطة قد ولى ، أنه لم يعد مجال شراكة ... فهل يكون شريكا في عهد الحرية؟؟

و من بين مواكب المعتقلين الذين تعودت الأعظمية أن تستقبلهم ظهر كل يوم لاح موكب فائق ، هذا هو ، أصدقاؤه يحيطون به ، بيته يرتفع فيه علم العودة ، الحي كله أهازيج ، أم وداد تذهب لتهنئ و فائق يسأل:

- كيف وداد يا خالة ؟

- وداد تسلم عليك ، لقد عادت من عمان بطلة ، و اردفت أخت فائق: انها بطلة من أبطال الكفاح في عمان العربية يا فائق ...

- أبطال ، كفاح ، عمان ، ماذا اسمع يا خالة ... شوداها إلى عمان ، و ماذا حدث في عمان ؟

- تطورت أحوال كثيرة أثناء اعتقالك يا أخي ن جمال عبدالناصر ، العملاق الذي هتف بالعروبة من المحيط إلى الخليج ، جمال الذي خاطبنا جميعا: "ارفع رأسك يا أخي فقد ولى عهد الاستعمار لقد وصل نداؤه يا فائق إلى نزوى عروس الجبل الربع الخالي فهزمت اللواء روبرتسون و لفته قمم الجبل فسخرت بطائرات الإنكليز.

و استفاض الحديث عن عمان و تشعب إلى كل مظاهر اليقظة العربية منذ عام ١٩٥٦ ، و كان فائق كمن اخرج من غياهب الجب فلم يكن يعرف من ذلك شيئاً ... قالت أخته:

- لكأنك من اصحاب الكهف يا فائق ..

- و هل سمع أهل الكهف يا اختاه ما سمعته أنا الآن من انتفاضات الشعوب الصغيرة و انهزام الامبراطوريات العظيمة ، هل استطيع يا خالة أن ازور و داد في المنزل ؟

- و لماذا لا يا فائق ، مرحبا بك ..

و اقتربت الهتافات من بيت فائق ن انهم مجموعة من المهنيين ... انهم بنشدون: يحيى الرفاق في العراق ، لا سجون لا قيود كلنا جنود نحمي الرفاق يحيى العراق .. و استقبلهم فائق و تقبل تهانيهم و عادوا و هم يؤكدون له وجوب زيارة مركز الحزب ، الحزب الشيوعي العراقي.

و ما كان من فائق ليخرج عن عقيدته ، لقد تحمل في سبيلها السجن ، و هي تذوق القسوة و النكال على يدي أعوان نوري السعيد .. فكيف يتركها اليوم و هي تشق طريقها نحو السيطرة في العراق ، و مرة ثانية عاد رنين الساعة يرن في أذن و داد ، لقد الفته كلما وقعت في موقف

حرج "نحن شركاء ، حتى في مركز الشرطة" و عادت إليها العبارة ثم سألت نفسها ... هل نحن حقا شركاء حتى في الشيوعية ؟

و مدت وداد عينيها إلى البعيد .. إلى الصحراء. إلى سهول الجبل الأخضر .. إلى البيوت المهدمة في عمان ، إلى السجناء المكبلين بالاعلال ، ثم سألت نفسها أيضا: "من هم هؤلاء الشيوعيون ، أين مكانهم ؟ ماهي دعوتهم ، ما علاقتهم بالعرب ؟ ألا يتبعون دولة معينة ؟ ألا يسيطر عليهم نفوذ أجنبي ؟

و وضعت الانطباع الذي غرسته تلك النظرة البعيدة نع الاجابة التي قررت أن تحصل عليها من فائق ، و في أول لقاء بعد تساؤلها هذا جاءها فائق يبلغها بالدعوة الشيوعية ، جاء يقول لها "الشيوعيون منتصرون ، سوف يقبض الحزب على كل جوانب النشاط في العراق ، سوف نعقد مؤتمرا لنا نزيل فيه آثار العهد البائد من نفوس الرفاق جميعا ، من كان معنا فاز و من خالفنا خاب".

- مالك يا فائق ، أنت تكلمني كأنني من حزبكم ...

- و أنت ألسنت من حزبنا ... ؟ ألسنا شركاء ؟؟ انني أهم أن اخطبك يا وداد ، دعي فرحنا يتم ، لقد خرجنا من السجن سوية فلنعش في أرض العراق سوية ..

- على كل حال دعني أسألك ..

- بكل سرور ...

- من هم الشيوعيون ؟

- طيب ، الظاهر أنك أنت لم تكوني شيوعية ، الشيوعيون هم نحن أتباع كارل ماركس و لينين ...

- أين مكانكم ؟

- تحقيق ممتاز تعلمته من سجون نوري السعيد ، مكاننا العراق ، مكاننا موسكو ، لندن ، باريس ، القاهرة و كل بلاد يوجد بها شيوعيون .

- يعني لو وجد في بريطانيا شيوعيون لكان مكانهم مكانكم .. ؟

- طبعا لأنهم يحققون أهدافنا ، يقضون على الرجعية على الاستبداد ، على العملاء ..

- و كذلك لو كانوا في تل أبيب ؟

- لا هؤلاء ننظر إليهم نظرة ثانية ، أولا نصفي قضية فلسطين معهم ..

- تؤاخذون بينهم و بين الفلسطينيين تجعلون الفلسطينيين شيوعيين و تكون فلسطين وطن الشيوعيين من عرب و يهود ..

- و مالنا نحن الآن و قضية فلسطين ، دعينا أولاً نقوي أنفسنا في العراق ...

- طيب ، ما هي دعوتكم في العراق ؟

- محاربة الاقطاع ، القضاء على التقاليد الجامدة ، الاستيلاء على الحكم. تثقيف الشعب العراقي ، الاصلاح الزراعي.

- ألا يمكن هذا إلا عن طريق الشيوعية ؟

- انها هي السبيل المضمون لذلك ..

- مصر هل فيها اقطاع ، ما رأيك في تقاليدها ، في حكمها ، في ثقافة الشعب العربي في مصر ، هل للشيوعية أثر في ذلك ؟

- أحنا شكل و مصر شكل ، ثم من قال لك أن مصر تسير على طريقة صحيحة ؟

- قال لي سجنك .. أنت ثلاث سنوات في سبيل مصر.

- أنت ما تريدين أن تفهمي ، لا بأس سأتعب عليك كثيرا ، هذه ضريبة الرجل يدفعها للمرأة.

- شكرا يا فائق .. الله يريحك ، بقى سؤال واحد ..

- تفضلي ..

- ما هي علاقتكم بالعرب ؟

- نحن أبعد نظرا و أوسع مجالا ، نحن نعلق أنفسنا بالديمقراطيين في كل أنحاء العالم و منهم العرب ...

- يعني أنتم لا تعترفون بالعرب.

- كيف ما نعترف .. نفرض عليهم مبادئنا ، لنا في كل مدينة خلية حتى في عمانك لنا خلية ..

- عفوا يا فائق ، عمان لن تقبل الشيوعية و العراق لن تنجح فيها الشيوعية .. سوف ترى كيف يحن الدم إلى الدم و كيف يتميز كل مكان بجنسه و دمه و شعوره و عند ذلك ستؤمن يا فائق أن شيوعي إنكلترا و تل أبيب و موسكو لا علاقة بينهم و بين اصلاح المجتمع العربي ، و أنت يا فائق تعيش الآن في غمرة و ستعود إلى عروبتك ، سيعيدك إليها العراق العربي أو يجرفك مع الغناء ..

- و أنت أيضا با و داد بكثرة الاختلاط ستفهمين مبدأنا و ستعرفين محاسنة و سوف ترينه غديرا صافيا و عند ذلك نكون شركاء.

- على رسلك يا فائق لا تصفه بأنه غدير ، الغدير كلمة لم تعرفها إلا بلاد العرب في جبالها الشم أو وديانها الممتدة. و الغدير يا فائق محدود و مبدأكم كما تقول موزع في كل ناحية ...

- لقد جئت رجعية يا و داد و لو بقيت في السجن لعلمناك أكثر ...

- أحمد الله على اعترافك ، أن مبدئي وليد الحرية ، أما مبدؤك فهو وليد السجن ..

و خرج فائق غاضبا و لكنه مع ذلك لم يفقد الأمل في التقرب إليها ، لقد كان يحبها فعلا و بقي عليها أن تجمع بين العقيدة و الحب أو أن تجعل كلا منهما في ناحية فتأخذ من حبا لفائق ما يعوض كرها لعقيدته و أنى لها أن تختار أحد الطرفين.

و عاشت و داد في مهب الريح لا تدري ماذا تختار ، هل الحياة حب ؟ هل الحياة عقيدة ، ثم ما هي العقيدة ؟ هل تتبع من الحب أم الحب ينبع من العقيدة ؟ و اجابت و داد نفسها: "لو كانت العقيدة من الحب إذن لتزوجت من فائق ، إذن لسرت معه حيث سار ، تماما كما التقيت معه في نواح متعددة بالعهد البائد ، و لكنها ثورتنا العربية في شتى مراحلها غيرت كل اوضاعنا القومية فكيف أحب شيوعيا ، لنفرض أن فائق وجد

شيئاً لا يوافق ، في أخلاقي ، في تصرفاتي في حياتي .. ترى أيتزوجني ؟ و عادت تقول لنفسها: " أجل ها أنت مخالفة له الآن ، و هو يأمل أن يتزوجك " و ردت على نفسها أيضا: "أنه لم ييأس من التأثير علي ، أن له رأيا آخر حول العقيدة يختلف عن رأيي أنا ، أنه يرى العقيدة جزءا من ذات الشخص ، و من خلال رأيه هو فليس هنالك تعارض بين قلب و قلب لأن المجتمع يفرض العقيدة على الفرد ، أما قوميتي فتقول أنني أنا لبنة في هذا المجتمع أشارك في قوته و أعيش كجزء من أجزائه".

و استمر المد الشيوعي ينثر أشواكه في طريق الثورة في العراق ، احتجب عدد من طليعة القيادة و ظهر قراصنة المد الأحمر و وقفت الثورة أمام شوكة أدمت قدميها فتفجرت منها الدماء و أدركت و داد أن الخير لها أن تبتعد فان فائقا قد أصبح ملاحا بارزا في المد الأحمر و لا يستبعد عليه أن يدل عليها كفتاة قومية و قدرت أنها لابد من أن تتحدى موكبا من موكب القرصان و أن للعراق الكثير من فتياه و فتياه لمقابلة هؤلاء المواطنين في أجسامهم الدخلاء في عقولهم و مفاهيمهم و أنها هي و داد عبدالمجيد مرتبطة أيضا بقطر عربي آخر ، فلتؤكد واجبها نحوه فما أحوجه إليها و لتترك العراق لأبنائه البررة و لتراثه المشع و لتترك فائقا أيضا لأخته فخريه فحسبها أملا أن بيت فائق لم يخل من فتاة قومية فما بالك بغيره من بيوت .. فلنتركه لفخريه لعلها تنقذه من هذا الطوفان و لعله أن سلم من عثرات و أمواجه يثوب إلى عروبتة ، إلى رشده.

و قررت أن تسافر إلى الكويت و من هنالك تدرس الوضع بعمان فلا بد من أن تعود .. ومن الزبير رمت و داد هذه الرسالة في صندوق البريد:

"أخي فائق ، ستصلك هذه الرسالة وأنا بالكويت ، لا تغضب لقد غادرت بغداد أنا و أمي دون أن نخبرك ، فضلت الانسحاب و تركك للمستقبل فأنا على يقين بأنك مقبل على تجارب كثيرة لا أدري أتذوب فيها أم تتطهر ؟

ان عقيدتي راسخة رسوخ العروبة في كل مراحل التاريخ .. أن مصدر رسوخها بالنسبة إلي هو نفسي و غذاؤها في دمي ، سریت من أجلها في ظلمات الليل و دوى من حولي الرصاص و تهاوت أمامي خمس جنث ، لبست القيد و ذقت الإهانة ... وجدت هذه العقيدة في الجبل من حضيضه إلى قمته و في الأفراد من مسودهم إلى سيدهم و وجدتها في فنادق الأعداء عند مستخدميهم الفقراء البسطاء ، وجدتها في العراق و في الكويت و في البحرين و عمان ، أن أهالي البحرين تركوا أسرهم في أول الفجر ليودعوا أختا عربية في مطار المحرق ، و جدتها في خواطر نفسي منذ أن ولد طفل سميناه سلام و قد كانت الخواطر حقائق فقد سمعت عن عبدالسلام عارف و هو يدفع بالعراق إلى الصف العربي ، فائق انني مجندة لتلك العقيدة ، عقيدة القومية العربية ، أفتراني أصلح لك ؟

وداعا إذن ، و كم يؤسفني أننا كنا شركاء في عهد السجون ، فافترقنا في عهد الثورة ... و داعا إذن ، عشت لبيتك ، عشت للعراق ، عشت لعروبتك إن شاء الله .. .

(١٤)

ما اسعد فاضلا اليوم ، ها هو يستقبل أخته المجاهدة ، أخته التي حققت آماله في خدمة عمان ، و قد زاد في سعادته أن أصبح منزله محجة عربية إذ ما كاد أصدقاؤه يعرفون عن وصول و داد حتى أصبح منزله محجة الجميع ، انهم يعرفونها منذ أن أصبح الحديث عنها جزءا من قضية عمان في محطة صوت العرب ، و هل كان فاضل يملك إلا أن يفتخر بها ، و لذلك أقبل العرب إلى ذلك المنزل السعيد بقدر ما احتضنت الكويت من الشعب العربي ، و في ذلك المنزل الكريم اجتمع من كل قطر عربي أكثر من مندوب .. شيء آخر ملأ نفس و داد سرورا لقد استقبلها أخوها حاملا ولده طالب ، و استقبلتها أمه بالطفل الرضيع غالب ، و لشد ما كانت دهشتها عندما أخبرها فاضل أن زهران التوبي - زوج رفيقتها و أبو سلام - قد جاء مرسلا من خالد ... و التقى الصديقان و بدأت تسأل و زهران يجيب.

- لم يبق بيت ، الكل في الكهوف يا و داد ، حتى منابع المياه قصفت بالقنابل و امتنعنا عن الشرب منها إلا بعد تحليل.

- مستشفانا هدم و أصبحنا نعيش يا و داد بين الجبال و الكهوف ...

- حصل الانزال على الجبل و نجحوا في احتلال قسم منه بارشاد جندي كان منضما إلى جيشهم في كينيا تظاهر بانضمامه إلى المجاهدين.

- قصفوا محمد بن خلفان الهدابي الدليل لحمل التموين إلى الجبل ...
قصفوه كأنه مدينه ، ما أكبرك يا هدايي ...

- لقد صبر الإمام و المجاهدون صبر الكرام ، و لم يبق لهم أحد إلا
أمرين أما الموت و القضاء على الحركة أو أن يخرجوا بها على العالم
الخارجي ، فأخذوا بالرأي الأخير ، فأصبح المجاهدون بين ناج بنفسه و
بين مقاتل في الجبال و بين سجين في قلاعهم الرهيبة ، أما خالد فقد
سجن ...

- تجلدي يا أختاه ، سجن خالد و قتلت شريفة و قتل طفلها سلام.

- لا تستسلمي لليأس ، أعمال المجاهدين مستمرة ، أننا نسيطر على كل
الطرق ، سياراتهم تتهاوى ، ثكنات جيوشهم ، تحرق ، جنودهم لا
يجرأون ان يمشوا بمفردهم ، نحن مسيطرون ، سنستمر ...

- سلام ... نعم يا أختاه قتل ، عندما احتلوا المراكز كنا في المخابيء
نتقي قصف الطائرات و خرجنا بعد ذلك نشق لنا طريقا أخذوا يفتشون
عن كل السكان ، كلهم لهم أعداء ، كلنا جنود حتى سلام ، ربط إنكليزي
ظهره بحبل و توغل في الكهف و خارج الكهف رفيق له يجره حال
وقوعه في خطر و عندما اصطدم بشريفة طعنها بسكين و أصابت الطفل
طعنة أخرى ، كان الوحش الإنكليزي يضرب بسكينه دون هدى ، و
عندما أنجزت مهمتي ذهبت إلى ذلك الكهف و هناك وجدت ولدي مستندا
صدر أمه ، مسكينة لقد اصطدم بها الجندي فقتلها و مع ذلك فقد اسندت

طفلها إلى صدرها و هي تعاني سكرات الموت ، من مات أولا ، شريفة
أو سلام لا أدري يا ودا ن على كل كلاهما ميت الآن ..

- خالد في السجن و ليس للمجاهدين من يعالجهم

- لم تفد مقاومته ، لقد كانوا يقصدونه ، حمل إلى نزوى مقيدا

- نعم كان يؤدي عملا إنسانيا ، و لكن كيف يعرف القاتل فضل الطبيب

..

- نقل إلى مسقط في سيارة جيب و أبقى بميدان عاصمتهم ، كي يسخر
منه عملاؤهم ، و لكن أفراد الشعب امتنعوا عن الاقتراب من السيارة ،
أن فيهم أهله و عشيرته و زملاءه و تلاميذه و أصدقاءه ، ثم اقبل عباس
بن فيصل عم السلطان و معه آلة تصوير و اخذ يصور و هتف به خالد
... "ماذا تصور يا عباس ؟" و اخذ عباس يرقص "اصوركم ، نعم
انتصرنا عليكم يا حضرة الدختر جئت تداوي و لكن داو نفسك الآن ، إذا
لم اصورك أنا فمن يصورك ؟ ... و هتف به خالد "كان خيرا لك أن
تلاقيني في المعركة لا أن تكل بذلك إلى جندي إنكليزي ثم تصور و
تفتخر" ... ثم انزل خالد و أمر أن يمشي إلى السجن و معه خمسة من
الجنود ، مشى و كلما مر بجماعة من مواطنيه أهالي مسقط سلم عليهم و
هتف تحيا عمان .. يحيا العرب في كل مكان ، و انتهره أحد الجنود و
لكن خالد قال له "أنت حارس ، و أنا اتحمل مسؤولية ما ا قوله بلساني" ..
و مشى خالد بقيده مسافة نصف ميل إلى قلعة الجلاي فصعد درجات

ذلك السجن الرهيب و هناك ألقى به بين ثلاثة و خمسين سجيناً سياسياً
يعيشون مع القتلة و المجرمين

- لا شك أن الحياة في السجن رهيبة ، لو اردت أن تصفيها لما وجدت
لها غير كلمة ظلام ، وضعوا جميعهم في حجرة مظلمة يغلق عليهم باب
و يخرجون مرتين فقط في اليوم ... هل تعرفين إبراهيم بن محمد بن
سالم الرقيشي ؟ اصابه صراع اخذ يعاوده يوماً فطلب أن يعرض على
الطبيب و رفض طلبه ثم طلب أقراص الأسبرو فرفض أيضاً ثم انفجرت
عينه و هو يعيش الآن أعور في سجن كله ظلم و ظلام .. مسكين خالد
لقد أصبح من بين المنسيين في القضية العمانية أ أجل أنهم منسيون ،
أجل و من هم ؟ كل له دوره في البطولة .. سلطان نجل الزعيم الذي فقد
كل شيء في سبيل الاحتفاظ بالحرية و الامامة ، نجل سليمان بن جمير ،
ابراهيم نجل ركن الامامة و زعيم عمان عيسى بن صالح الحارثي ، و
محمود بن زهران الفتى البطل و علامة البلاد محمد بن سالم الرقيشي ..
أنهم و رفاقهم منسيون ، هل سمعت أنت من ذكر السجناء السياسيين ن
هل سمعت من طالب باطلاق سراحهم ، انا لا اعرف الوسائل ، أنتم
متعلمون و تفهمون و لكن لا بد أن ابدى رأيي.

و أجابت وداد:

- أخي زهران ، ليس هنالك من وسيلة إلا الكفاح ، هو جزء من حقنا و
الحق لا يؤخذ إلا بالقوة ، من يطالب زعمائنا ؟ هل تكون قضية السجناء
أكبر من قضية النساء و الاطفال ؟ هل أيدت الدول اجبار المعتدين على

أن تدخل هيئة الصليب الأحمر - على الأقل - أماكن القتال ... نحن يا
أخي نحل كل شيء بسواعدنا القوية بعيوننا الساهرة ، بعقولنا النافذة
برصاصنا بقيودنا بدوائنا بصبرنا بمقاومتنا ...

- أولم يكف ما بذلناه يا أختاه ؟

- كلا يا زهران ، أن أذني هذا العالم قد ركبتا في أقصى جزء منه ، في
القطب الشمالي ...

- على كل حال أنا مستعد لكل ما تأمرين به و قد جئت كما أخبرتك
لاصحبك إلى معسكراتنا الجديدة فاننا في حاجة إلى الدواء ...

- سأذهب ، ساعود إلى عمان ، سأؤدي مهمتي و مهمة خالد ،
ستشعرون أن خالدا بينكم ان شاء الله.

- و الله يا ودا د ن في كل نفس حسرة على خالد ، أسفاه ... كيف يسجن
، كيف يرمى في تلك الحجرة المظلمة ، كيف يتقل رجله القيد و كم
خفف عن المجاهدين من آلام .. و خانها التجلد فبللت وجهها بالدموع و
استسلمت للبكاء ...

(١٥)

لم يكن هناك شيء يمنع وداد من العودة إلى عمان ، أخوها يجد أنها تكتسب شرفا و تؤدي واجبا ، أمها تقول أنها قد تعودت العيشة هناك فتخفف عن المصابين ، الحاجة إلى ذهابها ملحة ، أنها اليوم تؤدي واجبا و تتوب عن رجل شاركها حياة قاسية على قمم الجبل الأخضر ، أمران فقط لا يشجعانها على الذهاب أولهما انكشاف أمرها و لا يمكن أن تسافر إلا بعد ضمان الطريق و ثانيهما أنها إذا ألقى عليها القبض فلن تعاد إلى العراق انها ما تزال تذكر ابتسامة الضابط الساخرة عندما قال لها نأخذك إلى نوري السعيد ، اما الأول فقد تكفل أن يسلك بها طريقا مأمونا "المثل يقول - عمان كلها دروب - ستكون طريقنا سلاما و نحن في البحر ... فسترسو بنا السفينة في إحدى الموانئ الصغيرة بعمان و منها نسير إلى مأوى المجاهدين " أما الأمر الثاني فقد خفت وداد اخطاره بقولها: " ماذا يهمني أنا مادمت نذرت نفسي للجهاد سأوضع في سجن و ذلك هو اسوأ الاحتمالات ، هل أنا خير مما فيه ؟"

و عندما كان الليل يحجب نجما و يظهر آخر كان زهران و وداد في طريقهما بسيارة فاضل إلى الميناء ... و ترافقهما سيارة أحد أصدقائهم الكويتيين تحمل أربع حقائب مليئة بالدواء و أربعاً مليئة بالكساء ...

- في رعاية الله يا أختاه ...

- إلى النصر يا بطلتنا العربية

- وداعا يا فاضل ... وداعا أيها الأخ .. ادعوا لنا بسلامة الطريق.

- عين الله ترعى المجاهدين ، سيروا على بركة الله ، لقد رحمكم من في الأرض و سوف يرحمكم من في السماء ...

- لست بحاجة إلى أن أوصيك بوالدتنا ، باخوتي الصغار ، بولديك غالب و طالب ، بأمهما الطيبة ...

- رجاء اكنموا سفرنا بقدر ما تستطيعون ، في أمان الله ...

و شقت السفينة أمواج البحر ، و من ذلك البلد المعتد بعروبته في كبد الصحراء و على ضفة الخليج خطت و داد خطواتها الأولى في عملها القومي و الإنساني .. و سارت السفينة إلى عمان .. إلى المدن المهدامة ، إلى الشعب المكافح ... إلى الأسر المشردة ، إلى القطر الذي أصبح قريبا من كل عربي ...

و وصلت و داد إلى معقل المجاهدين و ارتفع علم الهلال الأحمر مرة ثانية في مقره الجديد .. ارتفع بدون خالد و لكنه في حقيقته يكاد أن يكون رمزا لخالد ... لم يعد أحد يساعد و داد ن شريفة ماتت و خالد في السجن ووجب عليها الآن أن تدرب زهران ...

مسكين خالد أنه في حاجة لمن يسعفه في تلك الحجرة المظلمة .. في تلك الحجرة المنيرة بجهد أربعة و خمسين مجاهدا في سبيل العروبة و الوطن و العدالة ... هل سمع العرب أنينهم .. هل يحس العرب بكابوس الظلم على صدورهم ، هل يستيقظ الضمير العالمي لما يعانيه أولئك السجناء السياسيون ، كانت هذه الخواطر تفيض من قلب و داد و هي تضمد جرح مجاهد طرق باب المستشفى بعيد منتصف الليل ، و جهرت بعبارتها الأخيرة فهتف المجاهد الجريح بصوته الخفيض "النصر قريب يا و داد ، تأكدي اننا سنقتحم ذلك السجن الرهيب و نفرج عنهم بانتصار شامل ، تأكدي أيتها المرأة الملاك .. آه أني أعرف خالد ، فرج الله عليه و على جميع سجنائنا" ، و اتجه الجريح إلى حجرة مرضى المستشفى و جلست و داد إلى مذياعها تستمع إلى نشرة الأخبار الأخيرة من القاهرة قبل أن تأوى إلى فراشها لتنام.

و ما كادت تغمض عينها حتى هبت من فراشها تبتمسم كأنها ترحب بطيف خالد الذي خيل اليها أنه واقف على سريرها برجليه المصفدتين و هو يقول: "شكرا يا أختاه أنك لتمثلين الكفاح العربي في الخليج و قد شاء الله أن تمثله أخت لك في المحيط ، شكرا لكن أيتها الفتيات" .. و عادت إلى مخدتها و هي تقول: "فرج الله عليك يا خالد ، أن جميلة يا أخي سجينة مثلك ، أني لم أصل بعد إلى جهادك و جهادها ، و نامت ريثما يوقظها طارق لم يكن جريحا ، لقد جاء مبشرا: "أبشري يا و داد ... بعد أيام سيشارك خالد في عمك العظيم ، لا أطيل عليك لقد هرب خالد من السجن" ...

- لا أصدق يا راشد ، كيف يهرب من سجن أقيم على قمة جبل و عليه
عشرات الحراس .. ؟

- لقد أعلنت قيادة جيش العدو هروب خالد من سجن مسقط ، و أنهم
يضعون عشرة آلاف روبية لمن يأتي برأسه حيا أو ميتا أو يرشد إليه ...

- ألا تعتقد أنها مكيدة منهم لقتل خالد ؟

- ليسوا في حاجة لذلك ، بإمكانهم أن يعذبوه حتى يموت كما فعلوا مع
غيره من السجناء مثل سفيان الراشدي و محمد بن صالح الريامي.

و لم يطل الحديث بوداد و راشد فقد قرع الباب أحد الحرس معلنا أن
نائب القائد العام قادم إلى المنزل ... و دخل القائد ... شاب أسمر اللون
، طويل القامة ، صارم النظرات ... حيا و داد قائلاً: "مساء الخير أيتها
المجاهدة" و التفت مخاطبا راشد: "هل عدتم من الغارة؟" ...

- عدت أيها القائد بخير غريب

- لعله خير نجاة خالد

- أجل

- ذلك أمر نعرفه و لهذا جئت ، و داد .. سيكون خالد هنا بعد أيام قليلة ، هينوا له مكانا ، و قرب مخيمكم انجزنا بناء حجرة تحت الأرض للقيادة العامة فقد عين الامام غالب قبل خروجه من الوطن قائدا عاما للمقاومة السرية و أعلن اسم خالد لهذا المنصب ، و ترتب علينا بعد هذا التعيين أن نخرج خالد من السجن ، فاتصلنا بأنصارنا في مسقط و أرسلت اليهم بالخطبة التي يجب أن يتبعوها و قد وصلني أمس مندوب عنهم يبشر بنجاح الخطة و أعلننا الليلة نجاة خالد و أمل أن يعرف الوطن العربي كله بالخبر صباح غد في اول نشرة لصوت العرب ...

و رفعت و داد يديها تشكر الله و تحمده ، ثم صافحت القائد البطل و مضى يسرد القصة ... "تكفل اخواننا في مسقط باقناع اثنين من حرس السجن بالمساهمة في اطلاق خالد ، و كانوا يسمحون للسجناء بالخروج قبيل الغروب لمدة ربع ساعة ثم يعيدونهم إلى زنزانتهم ، و لكن خالد مضى و لم يعد فقد اخفاه أحد الحارسين بجهة منعزلة من السجن ، و بعد منتصف الليل خرج زورق من قرية مطيرح و رسا على الجبل القائم عليه السجن ، و عند ذلك فك القيد من رجلي خالد و سلمه أحد الحارسين ورقة قرأ فيها "يعين الأخ المجاهد خالد بن أحمد الجلنداني قائدا عاما للمقاومة السرية و قد عهدت إلى نائب القائد العام بمهمة اطلاق سراحه ، غالب بن علي إمام عمان" و قال الحرس "هذا أمر الإمام و ليس لنا الا الطاعة و مهمتك الآن هي أن تحفظ توازنك و أنت تنزل بالجبل ، أن تحت الجبل

زورقا ينتظرك سنتبادل و إياه الاشارات عندما تنزل البحر ، و عليك أن تراقب عودة من الشخاط يشعله الزورق حيناً بعد حين فنتجه صوبه أو تلقي بنفسك إلى البحر عندما يقترب الزورق حيناً بعد حين فنتجه صوبه أو تلقي بنفسك إلى البحر عندما تقترب منه و هناك سباحان ماهران ينتشلانك للزورق - و إلى اللقاء" ...

و همس خالد: "كلنا فداء للوطن يا أخي لقد كنت اشعر أن لنا في هذا السجن الرهيب أصدقاء رغم أنه معقل الأعداء ، و لكن كيف اخرج و اترك رفاقي؟"

- انه أمر الامام يا خالد و لا تكثر من الكلام هيا بادر فان الزورق يستحثنا فالحبل يهتز بيدي ، بادر بالنزول محافظة على أرواح من في الزورق ...

و ربط الحارس الحبل باحد مدافع السجن و نزل خالد متوكلا على الله ، كان يحدق بعينيه و يرهف بأذنيه و هو معلق بين الأرض و السماء و عندما قارب الوصول إلى البحر استقبلته ذراعان مفتولتان و سمع صوتا "الحمد لله ، مرحبا يا خالد ، عليك بالصمت " .. و هز الأبطال الحبل ثلاث مرات إشارة بوصول خالد ثم رمى الحارس الحبل إلى البحر و اقلع الزورق متجها إلى قرية الجصة و من هناك اتخذ خالد طريقه إلى معقل المجاهدين.

و أصبح الصباح ... فاكتشف الحرس الجدد أن خالد ليس بين السجناء ،
و اكتشفوا أيضا أن أحد الحرس قد هرب من مسقط و ذهبت دورية تفتش
بيته ... و هناك عثروا على ورقة كتب فيها "لا تتعبوا أنفسكم ، أنا الذي
اخرجت خالد من السجن ، سأكون ظهر اليوم في أحد مراكز المجاهدين
، الله أكبر ، عاشت عمان و عاش العرب".

تفرقت السيارات تفتش عن الحارس و عن خالد و لكن الأخ سيف بن
سعيد أقبل ليبشرنا عن وصول الحارس إلى أحد مراكزنا و عن رؤيته
خالدا مختبئا مع أعواننا و هو في طريقه إلى الشرقية.
كان لابد لخالد من أن يظل مدة إسبوع على الأقل في منزل أحد أصدقائه
، فالقيد قد جرح رجله و اثر في قدرتهما على السير ، فوجد في ذلك
مجالا للفهم التام عما اعقب اعتقاله من تطور قضية الوطن و متسعا
للدراسة الشاملة عن الخطوات المقبلة ، حل الموقف على ضوء تلك
المعلومات و رسم خطة المستقبل في تلك الدار الطيبة في مضارب البدو
و جنود الأعداء تتربص به في جميع المراكز و تتجسس من مختلف
المدن ، فهم خالد أن الامام في الدمام و قد بدأ يتحفز امتابعة الدعوة
للقضية في المجال الخارجي ، و أن الشيخ طالب بن علي صديقه و رمز
البطولة لديه قد طالت اقامته في القاهرة و هو في مجال التمهيد و
الاستعداد و أن الأمير صالح بن عيسى الحارثي على خلاف مع الزعماء
و أن الشيخ سليمان بن حمير قد ضحى بنفوذه و أملاكه و أسرته و قبيلته
في سبيل القضية الكبرى ، فهو اليوم و قد تقدم به العمر ساهم الوجه ، لا
يكاد يهتدي إلى ما يبغده عن التفكير في التضحيات التي قدمها إلا التفاؤل
بوعد الله للمجاهدين. و درس الموقف دراسة واسعة على ضوء ما سمع

من تهاون و تطاحن فخرج بنتيجة مؤلمة تتلخص في أن عمان مقبلة على خطر كبير إذا لم يقدم هؤلاء الزعماء على تطهير أنفسهم من التفكير في النواحي الشخصية و تنظيم عمل داخلي عاجل ذاتيين كلياً في خدمة المصلحة العليا ، و لم يتردد في مصارحة مضيئة بأنه يتمنى بعدما سمع عن الموقف أنه لم يخرج من السجن فعاش بأمجاد تلك الثورة بين ظلام السجن و ثقل القيد القيد و انتصار العدو .

و حاول مضيئه أن يقنعه بأن خروجه من السجن انبثاق النور من بين جنبات الظلام .. فعليه أن لا ييأس و لا يفتر و لكن خالد أجاب أن فتور الهمم و اختلاف الكلمة معناه شماتة العدو و اطمئنانه ، معناه يا صديقي أن يقهقه سلوين لويد في (فورين أفييس - Foreign Office) و أن يتمخطر تشونسي في طرق مسقط و أن يحكم ووترفيلد عمان بجيش المرتزقة ، ألا ترى يا أخي أن الموت أهون من هذا الحال ؟ .. أننا في العام الثالث للهزيمة و أخالنا سنفقد كل مجد من أمجاد الثورة .

و أقبل قادة الثورة الجدد إلى مخبا خالد و منهم نائب القائد فلمح الجميع في وجه خالد غشاوة حزن عميق عزوه إلى أيام السجن الرهيبة و بدأوا يسألون عن القادة السجناء ، ففاجأهم خالد بالجواب: لقد اختار الله لهم ما هو خير ، "عين ما شافت ما لامت" فهم لا عين رأت و لا أذن سمعت ، يا رفاقي ، و احتمال الأذى و رؤية جالبه غذاء تضوي به الأجسام ... هنيئاً لمن بقى في السجن و لم يسمع عن الخلاف بين الزعماء الذين كانوا أبرارا ، هنيئاً لمن بقى في السجن و لم يسمع عن انتكاس ثورتكم التي كانت وساما على جبين كل فرد عماني ، أجل يا قوم ، ألم نمح عنا

أذى الاقليميين و اهانات الشعبيين ، ألم يصل بنا الحال إلى أننا رمينا في بعض المهاجر برؤوس السمك استخفافا بلحانا و تأخرنا ؟ ، ألم يصل بنا الحال إلى أن دعينا إلى كل وظيفة حقيرة ، ثم ألم تعد الثورة إلينا أمجادنا و اعتبارنا فاصبحنا موضع احترام في كل بلاد ؟ لم يعد الزعيم اسطورة و لم يعد رمز البطولة ، أصبح رفيقه يصمه بالاستغلال و ينشر عنه الحق و الباطل أمام الرأي العربي العام. فهل هذا هو منطق الثوار ؟ و هل هذا المصير يرضاه أتباع الثوار ؟ .. و دمعت عينا خالد و أخذ يشهق شهقات غريبة كادت تنذر بانتهاء حياته ، و أقبل أحد الحاضرين باجراء تنفس صناعي له و رش الماء على وجهه و أفاق و هو يهتف: "يا طالب بن علي منك بدأ المجد فلا تجعله ينتهي على يديك" ، و عاد خالد إلى الأغماء و عاد رفاقه يرشون الماء و لكنه انغمس في سبات عميق و هم جميعا يلاحقون أنفاسه و يدركون جميعا أن هذه الحال من المتوقع أن يصل إليها كل عماني غيور.

و في صباح اليوم التالي كان خالد قد عاد إليه نشاطه و أن كان الحزن ما يزال مرتسما على وجهه فاجتمع عليه رفاقه قائلين: " هذا هو الأمر الواقع يا خالد و علينا أن نصمد له ، و أن اليأس لا ينقذ و طنا ز الثورة طريق شاق لا بد له من مراحل و لا بد من أخطاء فدعنا نخطط من جديد ، دعنا نعالج الأخطاء و ندرس الوضع و نكون الرواد الجدد للثورة المقدسة ، فالجندي يقاتل و دمه ينزف ، و الشجرة تصارع الرياح العاتية و غصنها منحن .. دعنا نبني للثورة.

و أجاب خالد: يا قوم ما أنا باليائس و لكنها حالة مرت بي ، و كان لزاما أن تمر بكل من يرى آماله تتهاوى حتى من افق القيادة ، أنني كنت أسمع أنباء السنوات الأربع التي عشت فيها سجيناً و ما تطور فيها من مواقف و أتصور أشقاءنا العرب الذين جعلونا رمز البطولات ، كيف يسمعون عن خلافاتنا ، كيف يتصورون شماته العدو بنا ، كيف هويينا بآمالهم فينا و كانوا يعتبروننا حراس الخليج العربي و القلعة الصامدة على أطراف المحيط الهندي ، على أنني تجلدت اليوم و لكم مني العهد أن أكون جندياً من جنود الثورة يبني للمستقبل منزهماً أو منتصراً و يخطط لمجد عمان متمثلاً بقول الشاعر:

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه *** و لم يرض إلا قائم السيف صاحباً

و أضاف المضيف:

أنني لأذكر بهذه المناسبة أبياتاً قراها الحاج أمين الحسيني بعد أن لجأ إلى ألمانيا الهتلرية من محطة برلين:

فان تكن الأيام فينا غيرت *** بنعمى و بؤسى و الحوادث تفعل
فما غيرت منا قناة صلبة *** و لا حملتنا للتي ليس تجمل

و قينا بحسن الصبر منا نفوسنا *** فصحت لنا الأعراض و الناس
هزل

و أجاب أحد المجاهدين قائلاً: على كل حال يجب أن نبدأ من جديد و لنا
من أدب فلسطين خير موجه ، لنبدأ و شعارنا قول الأخطل الصغير:

غذت الأحداث منا أنفسا *** و لم يزد لها العنف إلا عنفوانا

و أضاف نائب القائد: "دعونا ندرس الوضع كل منا حسب اختصاصه ،
و أرجو أن يتكلم ممثل النشاط الداخلي".
و بدأ ممثل النشاط الداخلي يشرح الموقف بعد الهزيمة - بعد الخروج
من الجبل اصاب مواطنينا الخور و تكالب علينا الأعداء و كثر المنافقون
و اعتبرنا بعض رؤساء القبائل ، و يا للأسف ، غنيمة سائغة ، جاءت
من خيبر أو من الديلم او البرتغال ، فهذا ينهب الذهب و ذلك يسرق
الكتب و أولئك يجمعون أثواب النساء و كثر الكيد لبعضنا البعض ، فهذا
يشي و ذلك يدل على مخازن الأسلحة و هذا يتظاهر بالأسف ثم ينقل ما
يسمع و ذلك يسافر إلى دبي و البحرين و الدمام يتسقط الأخبار ، فيخبر
الأعداء بالتفصيل عن العمانيين الوطنيين القادمين ، و لكننا يا خالد بدأنا
نلمح في العام الثاني للنكسة أن المسيء قد بدأ يشعر أنه قد أساء إلى
نفسه أيضا ، و رؤساء القبائل مثلا لم يعودوا ذوي أهمية ، حطم الإنكليز

كل تقدير لهم ، أفراد قبائلهم يجلبون إلى مسقط مصفدين بالحديد دون أن يكون لهم ، و هم الرؤساء ، أي علم ، الاهتمام بهم تلاشى ، ذلك الذي حصلوا عليه سابقا من عطايا و تسهيلات بسرعة نقل مرضاهم و زيارات المسؤولين الحكوميين لهم ، كل ذلك قد انعدم الآن .. من الغريب أيها القائد أن يكون معنا الفقراء و أن يؤذينا الرؤساء و أن يسخر منا من كنا نحسبهم فضلاء. كل أفراد القبائل أصبحوا معنا بعد عام النكسة و لذلك فهم خلايا جنودنا و مستودع أسرارنا و من الممكن اليوم ضم بعض الرؤساء إلى الحركة فهم قد شهدوا عواقب ضعفنا.

و تكلم مندوب الاستعلام فقال: "أن القضية قد عانت نكسة خارجية بقدر ما هوت في نكستها الداخلية ، فقد فوجيء الرأي العام العربي بأنباء الخلاف بين الزعماء فأصبح لهذا أثره الكبير في عرقلة نجاح القضية و بذر الشكوك حوله. كل من الطرفين ينظر أنه هو صانع هذه القضية و مدبر أمرها ، فانشغلت طليعة الثورة بالخلاف و أسبابه عن التفكير في الجهاد بل حار بعض أفراد الطليعة في الجهة التي يكونون بها و توقف الطليعة عن السير كما تعلمون من شأنه أن يفتر شعبا كشعبنا و على الطليعة وحدها يتوقف مصير الوطن .."

و تكلم مندوب الحرب فقال: "الموقف يا أخوان ما زال في صالحنا لأننا نقاتل في بلادنا إلا أنه محدد بوقت معين ، فإذا طال سكوتنا و تواكلنا تمركز العدو و ستكون بلادنا قاعدة عسكرية بريطانية يستغنون بها عن قبرص و مالطة و عدن. ففي عمان أيها الأعداء توجد كل مميزات القواعد الثلاث: مواقع عسكرية و و أراض شاسعة و مناطق جبلية و

جيوب بحرية ، و نحن الآن بإمكاننا ان نؤذي العدو فأسلحتنا سليمة لم تصب بسوء و أنصارنا يزدادون بفضل سوء المعاملة التي يلقونها من العدو ، و عدونا مغرور بما أحرزه من نصر ، و أني أقترح أن نستمر في اتباع حرب العصابات و أن نطلب إلى الامام التعجيل بالضربة الكبرى في شعار "عمان واحدة" قبل أن يستفحل الخطر و تمتد برائش الأخطبوط".

و تكلم مندوب الناحية الاجتماعية فوصف المستوى الذي وصل إليه الشعب ، فلا مدارس و لا مستشفيات و لا خدمات عامة و لم ينس المجاهدين و ما أصابهم ، فوصف كيف نسفت مدن الجبل الأخضر و كيف أحرقت بساتين المجاهدين و منازلهم و صودرت أملاكهم ، و تطرق إلى الأبطال الذين خرجوا مع الامام و ما يعانونه في مهاجرهم من عوز و فاقة و طالب بالاحسان إلى هؤلاء خاصة لأنهم دعائم الحركة الجديدة .. و الاحسان إليهم تشجيع لغيرهم بسلوك طريقهم ، أما اهمالهم ففيه تثبيط لمن يريدون تقليدهم. و أكد أن الاهمال قد حصل فعلا و أن علينا تداركه.

و وقف خالد فألقى ملاحظاته على آراء المندوبين فلخصها قائلاً:

اننا نحن الرابضين في أرض المعركة نقرر مصير قضيتنا ، فلنقرر تأسيس منظمة تتولى أمر الكفاح و تقدم له المال و الرجال.

لقد عهد إلي الامام غالب بمهمة القائد و سأحافظ على هذه الأمانة متخذاً العمل لمصلحة عمان هدفاً أساسياً في تنفيذها و ان تأسيس هذه المنظمة لا يتعارض مع الاخلاص للدولة فهي قوة لها و سند في حمايتها. و بشأن ما أبدت من ملاحظات أحب أن أقول أن تأسيس المنظمة سيترك للعسكريين العمل في نطاق واجباتهم و سيقود غيرهم في المهاجر و في الداخل أن يكتلوا القوى و يوحدوا الجهود و أن يظهروا بالمنظمة قوة صامدة بجانب كل من يخرج على الثورة.

و الحقيقة المرة التي يجب أن نفهمها من الهزيمة هي اننا لم نخض الثورة عن وعي و تفهم و كانت مع الأسف اقرب إلى القبلية من الشعبية ، فإذا سكت رئيس القبيلة سكتت المنطقة جميعها و قد كان في امكان منطقة الشرقية بالذات أن تقوم بدورها الهام في تعزيز الثورة و كذلك الحال في وادي بني رواحة و وادي المعاول و وادي الطائيين و في الجبل الأخضر بعد خروج الشيخ سليمان بن حمير ، إلا أن القبلية التي تركزت في رئيس القبيلة قد جعلت هذه المناطق تتخلف عن السير في موكب الثورة ، لأن رؤساءها لم يشتركوا في الثورة أو خرجوا هاربين بعد ما أصابهم من أهوال و عدوان ، فعلياً قبل كل شيء أن نبلغ كل فرد عماني بالثورة و أن نملأ قلبه بالحق على الإنكليز لأعمالهم العدوانية و مشاركتهم في تحطيم أمجادنا منذ أن ظهروا بالهند حتى اليوم. و علينا أن نتمسك بالامامة ، لأنها حكم انتخابي يمكن أن يتخذ دعامة للنظام الديمقراطي الصحيح ، و قد أصبحت لها مكانة دولية تعتبر سندا للقضية الوطنية و علينا أن نملأ قلب العماني بتفهم واجباته نحو وطنه .. أن يطيع رؤساءه ما عملوا لمصلحة الوطن و آمنوا بمفاهيم الثورة ، فإذا

حاولوا أن يجعلوا منه مخلبا لنيل أطماعهم و اذا فتح فمه هاتفا بعمان الوطن و عمان القضية و عمان الأب و الرئيس و القائد فيجيبه بوحى من إيمانه أننا نطيعك ما عملت لمصلحة عمان و نخالفك إذا وجدنا أنك انحرقت عن الطريق. و هذه هي المرحلة الأولى في رفع مستوى القضية و محو الهزيمة فلا قبلية بل شعبية و لا منطقة بل وطنية و لا رئاسة بل عمل يعبر عنه أبو بكر الصديق فيقول: "أطيعوني ما أطعت الله فيكم".

و من هنا أعلنها صريحة أننا منذ اليوم لن نعمل لشخص حتى إذا كان هذا الشخص الامام نفسه بل نعمل للمحسن سواء كان اماما أو قائدا أو جنديا ، أو فردا عاديا. كما أنني أعلنها صريحة أننا نعمل لعمان وطنا واحدا غير مجزأ.

و من هنا أعلنها صريحة أننا منذ اليوم لن نعمل لشخص حتى إذا كان هذا الشخص الامام نفسه بل نعمل للمحسن سواء كان اماما أو قائدا أو جنديا ، أو فردا عاديا. كما أنني أعلنها صريحة أننا نعمل لعمان وطنا واحدا غير مجزأ.

و بالنسبة لما ذكرتم من خلاف بين الزعماء نتركه في رأيي لعمل كل الزعماء فالمستقبل سيكشف كل شيء ، و نحاول في نفس الوقت أن نوفق بينهم فان أبوا فمقياس كل منهم لدينا بما يقدمه من عمل حقيقي للثورة و نتركه فوق هذا لرهطه الذين لن يتهاونوا بحكم الوعي الذي سننشره في اساءة مسيء و لن يضيعوا حق محسن.

و بعد هذا فلا بد لنا من أن نرسل وفدا إلى الامام و إلى سائر الزعماء يعرض عليهم ما نقترحه من تنظيم و يقدم لهم النصائح على الأخطاء و لهذا ، فانا اقترح أن يسجل محضر لهذا الاجتماع و أن يذهب الوفد عاجلا برئاسة الأخ عضو لجنة التنظيم فيتصل بالزعماء و بافراد الجاليات العمانية في المهجر و ينظم لعقد مؤتمر من ممثليهم ينبثق منه ميثاق وطني و جهاز تنظيمي للثورة لا سيطرة فيه إلا لغالبية هذا الجهاز .

و بعد هذا ، فأنا أوافق على قيام بحرب العصابات حتى نستكمل تنظيمنا و لكنني ضعيف الأمل في نتائجها ، لأن العدو مستكلب و هو مستعد أن يبذل كل ثمن لحفظ مصالحه الاقتصادية و السياسية في بلادنا ما دام الطريق إلى معارضته لا يتعدى انفجار لغم و انقلاب سيارة و جرح جندي. و ما دام لعبه يسيل على النفط و المواقع الاستراتيجية فلا بد من مباغتته بهجوم عام عندما نهىء كل شيء لذلك .

أن الطريق الصحيح هي مقابلته وجها لوجه و ضربه في مركز قوته و الإيمان بأن عمان واحدة لا ساحلا و لا داخلا و لا باطنة ، و قد أدرك أجدادكم قبلكم صواب هذه الطريقة عندما قارعوا البرتغال فكالوا لهم الضربات في كل مكان .

و علق مندوب التنظيم ، شاكرا خالد على هذه الآراء السديدة و شاركه الجميع في الشكر الا أن مندوب التنظيم عاد فأظهر تشاؤمه من عدم توقع النجاح من فكرة المؤتمر و الميثاق و الاعتماد على الزعماء .

و أجاب خالد: " أننا ثوار يا أخي ، نحن هنا نحمل القضية ، نحن نقاتلها و قادتها إذا ما ثبتنا في خوض المعركة ، و سيشاركنا في ذلك كل من حمل بندقيته و قاتل ، فمرحبا بمن يوافق و لا نندم على من لا يوافق. عليك أن تقنع نفسك بأن لا تخلف الصف و تكسب السير الصحيح للقضية فالقد كفى ما لاقيناه من ذل و حسب الثورة أنها ظهرت بلادنا للخارج و مدت يدها إلى إخواننا العرب ، كنا قبل الثورة لا يعرف العرب حتى إسم بلادنا يلفظونه بتشديد الميم حيناً و بفتح العين أحيانا ، لقد كنا قبل الثورة موضع الاحتقار لدى أبناء عمومتنا و ليست الافتتاحية القبيحة باحدى صحف الخليج الصادرة عام ١٩٥٤ بخافية عنكم و هي تصدر عددها الأول ، و حسبكم أن ينتشر أبناء الشعوب الأخرى في المدارس في حين ينتشر أبناؤنا نحن خدما في البيوت ، و لقد كان أجدادهم سادة الهند و أفريقيا الشرقية و جاءت الثورة فاصلحت الحال فاصبحنا موضع التقدير لدى كل أخ عربي و أننا سنحافظ على هذا المستوى و سنرى كل عدو حاقد أننا جزء من تلك الأمة العربية التي حطمت القيود ، استعادت كمصر و قضت على القواعد العسكرية كالعراق ، و ارتفعت بمستوى شعبها كالكويت.

و بعد أخذ و رد بين الجميع استقر الرأي أن يسافر ثلاثة من قادة الثورة الجدد إلى الدمام حيث يلتقون بالامام ، و إلى الكويت و البحرين و قطر و السعودية حيث يتصلون بأفراد الشعب العماني للتخطيط الجديد. و اتجه خالد بعد ذلك إلى مقر القيادة في الجبل الأخضر فوصل إليه بعد أيام من السير المضني و أم مستشفاه ليحيي تلك الفتاة المجاهدة الصامدة ، و ما

كان أسعده من لقاء ، بدأ بالترحيب و انتقل إلى الشكر فالسؤال عن فاضل أخيها ثم أخذت و داد تسرد على خالد قصة خروجها من قفص الاستعمار في عمان لتقع في آتون الشيوعية بالعراق ثم لتشهد غشاع القومية العربية يشرق رغم الخطوب في أرض الرافدين، و وصفت لخالد مشاعر العرب في العراق و الكويت و البحرين و قطر نحو عمان. في البصرة عمان أسطورة بطولية ، و في الكويت جزائر ثانية يقابل بها عرب الخليج اخوانهم في المحيط و في البحرين معركة يتحدد بها مصير قضايا الخليج مع الاستعمار ، و في قطر نصر للعمانيين دحر للطامعين ، و عاد خالد يسرد عليها انطباعه و يشرح لها نقاط المؤتمر الذي عقده منظمو المقاومة السرية ، و قال لها و هو يودعها إلى صباح الغد: " لم أعد مضمدا للجراح يا و داد ، ذلك شأنك و شأن زهران ، فعلي اليوم أن أدير المعارك نهارا و أغير مع المجاهدين ليلا". و أجابت و داد: " لا عليك يا خالد ، قم بالمهمة الكبرى و سترى مستشفانا معسكرا ناجحا من معسكرات ثورتنا المظفرة".

و عادت أيام الجهاد ، ألغاما تعرقل مواصلات العدو ، و فدائيين يباغتون معسكراته و رصاصا يلعلع على ضباط الاستعمار وجنوده ، في حين حول الإنجليز بلادنا إلى سجون تطبق و ديناميت ينسف و طائرات تقصف و قنابل تحرق و ضباط جاؤوا من لندن ليصنفوا أبناء عمان في سجلات استخباراتهم ، هذا في القائمة "أ" و ذلك في "ب" و تلك في "هـ" و مراكز يسيطر عليها المستعمر لاهانة أبناء الوطن و سلطان يتربع في أقصى جنوب الجزيرة و على مشارف الربع الخالي ليضع مقدرات البلاد أمام تشانسي قنصل بريطانيا سابقا عند بداية المعركة و مستشاره حاليا و

ليفتك أيضا بأبناء ظفار الذين اتخذ بلادهم كمزرعة له ما عرف أهلها بها
استقرارا.

حتى الشباب الذي تعود الهدوء و أصبح يحسن ضرب الحفنة و تضييد
الجراح ، حتى هذا الشاب أصبح قوة حاقدة و هو يخوض معركة
التحرير أما مباغتا معسكرا أو متسللا أو راصدا على شعاب الجبال.

و رجل واحد من أشخاص هذه القصة انتهى دوره و ابتعد عن الحياة ،
ذلك هو فائق فقد دخل السجن كمجرم من مجرمي كركوك في العراق و
مات هناك ، كما ورد في رسالة من أخته فخرية إلى وداد.

و فيما عدا ذلك ، ما زال علم مستشفى المجاهدين يرفرف ... و ما زالت
وداد ملاكا للرحمة في جحيم المعركة و ما زال خالد و صحبه يخوضون
المعارك أفرادا و جماعات، و ينظمون للثورة الجديدة بين المجاهدين و
المهاجرين و القاطنين.

ظاهرة واحدة ركبت و لم تتحرك بعد ، أولئك الزعماء الذين أطلقوا نداء
الجهاد و اظهروا عمان في الخارج أباء لا يترددن و صبرا لا ينفذ و
مجدا ناطقا بامتداد العروبة و معبرا عن كفاح العرب على مشارف
المحيط الهندي ، أولئك الزعماء مازالوا حيث هم ، يرى العدو أنهم
يعيشون في المنفى ، و يرى المجاهدون أنهم لم يعودوا يتحفزون للضربة
القاضية ، و يرى فيهم جمهرة من الشباب نوعا من الجمود فيدعونهم
ملحين للحركة و للعمل.

و بعد هذا ما يزال العمانيون و عدد كبير من مجاهديهم ينتظرون قيادتهم المتضامنة المخططة تدخل عمان في وثبتها الجديدة أكانت قديمة نفضت عنها الغبار أو جديدة صقلتها نيران المعركة و صانتها دروس النكسة ، و عند ذلك يكونون لها سندا تبني به هذه القيادة لعمان العربية العزة و الأمن و لشعبها العربي الاستقرار و المجد.

و لندع و داد في مستشفاها و خالد في جبهاته و مندوب الشباب الرائد في مفاوضاته أو تمهيداته حتى نسمع أن سماء بلادنا صفت من طائرات العدوان و أن عليها دعة و أمنا و ملء آفاقها حرية و نصرا.

و إذا قدر لك حينذاك أن ترى عمان فسل عن خالد لتراه في كل بيت و سل عن و داد لترى شخصها يملأ بيت خالد الجلنداني و مبادئها يعمر بها كل بيت في عمان.

***** - بداية المرحلة الثانية للثورة الوطنية

العمانية - *****

كلمات ...

١- كتبت جميع فصول القصة عام ١٩٥٨ باستثناء الفصلين الأخيرين فقد كتبهما المؤلف بالكويت عام ١٩٦٢ بعد أن وجد مستقرا في هذا البلد العربي الحر الذي بزغت شمس تقدمه على الخليج العربي عامة و أسهم مساهمة فعالة في تثقيف أبناء عمان خاصة و ايواء من شردهم طغيان المستبد و عسفالمستعمر فكان كما قالت بطلة القصة "كم للكويت من فضل في ستر البيوت".

٢- و قد كتب الفصلين الآخرين بعدما تتبع الحوادث فصور الاتجاه الأخير للثوار الصامدين و التجمد الملحوظ لدى الثوار "المتقاعدين" ، نسأل الله نأن يهدينا جميعا إلى نهج الصواب و أن يلهم القادة واجبهم في التضحية بالغالي و النفيس في سبيل هذا الوطن المنكوب.

٣- يؤكد المؤلف أن أغلب أشخاص القصة هم حقيقيون ، و قد غير أسماء بعضهم ، و أن ما ورد في القصة من تصوير للتفتيش و القصف و الوقائع قبل الثورة و خلالها حقيقي لا مجال للخيال فيه. و الأدب كتاب يقرأ فيه كل كائن مظهرا من حياته ، فلم يقصد المؤلف اساءة بأحد رغم أن هؤلاء الآحاد قد تسببوا في تحطيم بلادنا و تشريد مواطنينا و حسبهم التاريخ حكما عادلا.

٤- حاول المؤلف أن ينقل بأمانة مراحل الثورة العمانية في قصته ، و قد وقف عند واقع الثورة اليوم تاركا للمستقبل تتبع الثورة التي لن تخمد حتى تظهر في دنيا العروبة عمان الواحدة لا المجزأة و عمان السائرة مع الركب العربي المتقدم لا المتخلف ، و عمان الطاهرة لا المندسة بالاستبداد و الاستعمار.

٥- ختاماً لهذه الكلمات أود أن أشكر الأستاذ عبدالرزاق الخالدي ممثل عمان في الجمهورية اللبنانية على قيامه بالإشراف على طبع القصة و تحمله ما ترتب على ذلك من مشقة و جهد ، كما أشكر الرسام السيد حامد "محموظ" على اعداده لوحة الغلاف.
و النصر لقضايانا العربية.

عبدالله محمد الطائي

١٩٦٥ م - مطابع الوفاء - بيروت